الفصل الثاني: تطبيق النظرية على نص الرواية.

- تطبيق النظرية على رواية (روبنسون كروزو).
- التطبيق.
- ملاحظات على التطبيق.

obeikandl.com

obeikandl.com

تطبيق النظرية على رواية (روبنسون كروزو)

لم يتم اختيار رواية روبنسون كروزو عبثًا، وإنما تم اختيارها لأنها غنية بالعلامات والمعلومات الجغرافية، فجنبات الرواية تكتنز بالمحتوى الجغرافي كما ذكرنا من قبل في أكثر من مناسبة.

تعد رواية روبنسون كروزو مؤهلة وبجدارة لتطبيق نظرية التحليل الجغرافي للأدب، لأن أحداثها تحقق الوصول وبسهولة إلى درجة المبالغة الجغرافية، وهي الدرجة التي تصير عندها النصوص مؤهلة لتطبيق نظرية التحليل الجغرافي للأدب.

كان روبنسون كروزو (الشخصية) هو البطل المطلق والوحيد في رواية روبنسون كروزو، فلم يكن له ند واضح وجلي الظهور في سائر الرواية، ولم تكن تنافسه شخصية كبرى أخرى فتقاسمه أحداث الرواية. بل كان روبنسون هو الشخصية الكبيرة والمهيمنة الوحيدة على سائر الرواية، أما باقي الشخصيات فقد كانت جميعها ثانوية، ومتذبذبة ومرحلية الظهور في أحداث الرواية.

ربما كان ديفو بالفعل قد خلق الرواية، وقد منح السيطرة المطلقة فيها إلى شخصية روبنسون. لكن وطأة التفرد والسيطرة المطلقة التي منحت لروبنسون، ربما خفت بعض الشيء بسبب المحتوى الجغرافي الكبير، وتحديدًا الأماكن والمواقع الجغرافية الكثيرة، التي زج بها ديفو في أحداث وتفاصيل روايته.

فباعتقادي أن الكثرة والوفرة والمبالغة في أماكن الرواية (دول ومدن ونحوهما)، من شأنها أن تقلل بعض الشيء من قيمة الانطباع السلبي الذي قد يأخذه البعض عن الرواية، بسبب قلة وندرة الشخصيات الهامة والمحورية فيها. أي أن كثرة الأماكن في الرواية، ربما تعوض بعض الشيء عن العجز والنقص في الشخصيات، وتلك برأيي هي عبقرية ديفو.

في قراءة مبدئية ومبسطة لجغرافية روبنسون كروزو، يمكننا القول أن سائر العلامات الجغرافية التي تحتويها الرواية، تتبدى لنا من خلال رافدين اثنين أو عنوانين اثنين، لا ثالث لهما:

١- جغرافية الدول والأقاليم والوحدات السياسية (خرائط الجغرافيا السياسية).

٢- سلوك روبنسون كروزو.

تنقلت أحداث رواية روبنسون كروزو بين ثلاث قارات. بداية من أوروبا، إلى أفريقيا، وصولًا إلى أمريكا اللاتينية. أي أن أحداث الرواية قد دارت في كل من العالم القديم والعالم الجديد، فأوروبا وأفريقيا تمثلان العالم القديم، أما أمريكا اللاتينية فتمثل العالم الجديد.

مضى الآن على اكتشاف العالم الجديد نحو خمسمائة عام، وفي الوقت الذي كتب فيه ديفو روايته، كان قد مضى على اكتشاف العالم الجديد نحو مائتي عام فقط. أي أن ذلك هو السبب، وراء اهتمام ديفو في روايته بالعالم المكتشف حديثًا.

فوق يابسة القارات الثلاث سالفة الذكر، وقعت أحداث الرواية في عدد كبير من الدول والمدن. ووقعت أحداث الرواية كذلك في عدد كبير من الموانئ والمرافئ. فالقارات الثلاث تقع على ضفتي المحيط الأطلسي، وبالتالي فإن كافة الرحلات البحرية الواردة في أحداث الرواية، قد انتقلت من وإلى تلك الموانئ والمرافئ الأطلسية، التي تقع على سواحل القارات الثلاث.

إذ يمكننا القول أن القارات الثلاث كانت بمثابة المسرح، الذي احتضن سائر الأحداث البرية في الرواية. أما المحيط الأطلسي بأبعاده الرحبة والواسعة، فقد كان ميدانًا للأحداث البحرية التي وقعت في الرواية.

بالنظر إلى دوائر العرض **Latitude** نجد أن أحداث رواية روبنسون كروزو، قد دارت أغلبيتها في أماكن جغرافية تقع إلى الشمال من خط الاستواء (أي في نصف الكرة الأرضية

الشمالي). لكن هناك مقدار قليل جدًا من أحداث الرواية، دارت في أماكن جغرافية تقع إلى الجنوب من خط الاستواء (أي في نصف الكرة الأرضية الجنوبي)، وهي الأحداث التي وقعت في البرازيل تحديدًا.

بالنظر إلى خطوط الطول **Longitude** نجد أن أحداث الرواية بأسرها تقريبًا، قد دارت في أماكن جغرافية تقع إلى الغرب من خط جرينتش (أي في النصف الغربي من الكرة الأرضية **western hemisphere**).

كون أحداث الرواية دارت في عدد كبير من الدول والمواقع الجغرافية، وكونها دارت في هكذا مواضع متفرقة من خريطة الكرة الأرضية، فذلك يعني أن الرواية تحتوي على شخصيات من خلفيات حضارية وثقافية كثيرة ومختلفة ومتنوعة. ولعل الخليط الجغرافي البشري والأنثروبولوجي المميز الذي وضعه ديفو في روايته، هو أحد أبرز معالم الجمال والإبداع في تلك الرواية.

وفي قادم الصفحات سنتناول بالتحليل المستفيض، ذلك الخليط الجغرافي البشري الذي وضعه ديفو في روايته، شأنه شأن الخليط الجغرافي الطبيعي والإقليمي والسياسي، الذي أثرى به ديفو روايته أيضًا.

obeikandl.com

التطبيق

- أولًا: كشف العلامات الجغرافية.

في مجمل أحداث رواية روبنسون كروزو، تم التطرق بالذكر الصريح إلى أسماء الكثير من الدول. إذ تبدو أسماء هذه الدول على النحو التالي:

١- إنجلترا England.

٢- غينيا Guinea.

٣- الرأس الأخضر Cape de Verde.

٤- المغرب Morocco.

٥- البرازيل Brazil - Brazils.

٦- بربادوس Barbadoes.

٧- غويانا Guiana.

٨- ترينيداد Trinidad.

٩- مصر Egypt.

١٠- الهند East Indies.

١١- جامايكا Jamaica.

١٢- ألمانيا Germany.

١٣- البرتغال Portugal.

١٤- أسبانيا Spain.

١٥- فرنسا France.

في مجمل أحداث رواية روبنسون كروزو، وردت أسماء العديد من المدن، والمدن الساحلية أيضًا. إذ تبدو أسماء هذه المدن والمدن الساحلية، على النحو التالي:

obeikandl.com

١- مدينة يورك York (إنجلترا).

٢- مدينة بريمن Bremen (ألمانيا).

٣- مدينة هل Hull (إنجلترا).

٤- مدينة دونكيرك Dunkirk (فرنسا).

٥- مدينة لندن London (إنجلترا).

٦- مدينة نيوكاسل Newcastle (إنجلترا).

٧- مدينة كرومر Cromer (إنجلترا).

٨- مدينة يارموث Yarmouth (إنجلترا).

٩- مدينة سلا Sallee (المغرب).

١٠- مدينة لشبونة Lisbon (البرتغال).

١١- مدينة سلفادور St. Salvador (البرازيل).

١٢- مدينة القدس Jerusalem (فلسطين).

١٣- مدينة بيونس ايرس Buenos Ayres (الأرجنتين).

١٤- مدينة هافانا Havannah (كوبا).

١٥- مدينة باريس Paris (فرنسا).

١٦- مدينة مدريد Madrid (أسبانيا).

١٧- مدينة فونتاريبيا Fontarabia (أسبانيا).

١٨- مدينة لاكورونيا Groyne (أسبانيا).

١٩- مدينة سانتا مارتا St. Martha (كولومبيا).

٢٠- مدينة دوفر Dover (إنجلترا).

٢١- مدينة بامبلونا Pampeluna (أسبانيا).

٢٢- مدينة بوردو Bordeaux (فرنسا).

٢٣- مدينة روشيل Rochelle (فرنسا).

obeikandl.com

٢٤- مدينة كاليه Calais (فرنسا).

٢٥- مدينة تولوز Toulouse (فرنسا).

٢٦- مدينة اليكانتي Alicant (أسبانيا).

بالإضافة إلى أسماء الدول وأسماء المدن سالفة الذكر، ظهرت في أحداث الرواية مسميات لكيانات جغرافية أخرى، لا يمكننا تصنيفها على أنها دول أو مدن. إذ تبدو هذه المسميات على النحو التالي:

١- الجزيرة الكاريبية (التي نبذ فيها روبنسون).

٢- منطقة ونترتون نيس Winterton Ness (إنجلترا).

٣- ساحل أفريقيا Coast of Africa.

٤- جزر الكناري Canary Islands (تتبع أسبانيا).

٥- الساحل الأسباني Coast of Spain.

٦- خليج قادش Bay of Cadiz (أسبانيا).

٧- الساحل البربري Barbarian Coast (اسم تاريخي لساحل شمال أفريقيا).

٨- نهر غامبيا Gambia River (غرب أفريقيا).

٩- نهر السنغال Senegal River (غرب أفريقيا).

١٠- جبل تنريف Pico of Teneriffe (جزر الكناري).

١١- رأس سانت أوغسطين Cape St. Augustino (البرازيل).

١٢- جزر فرناندو دي نورونها Fernando de Noronha (تتبع البرازيل).

١٣- نهر الأمازون The River Amazon.

١٤- نهر أورينوكو The River Orinoco(أمريكا اللاتينية).

١٥- خليج جميع القديسين All Saints Bay (البرازيل).

١٦- جزر الكاريبي Caribbee Islands.

١٧- شمال البرازيل The North Part of Brazil.

obeikandi.com

١٨- أمريكا America.

١٩- أوروبا Europe.

٢٠- خليج المكسيك Gulf of Mexico.

٢١- جزر ليوارد Leeward Islands (البحر الكاريبي).

٢٢- الجزر الإنجليزية English Islands (أملاك انجلترا من جزر الكاريبي).

٢٣- خور ريو دي لا بلاتا Rio de la Plata.

٢٤- منطقة نافارا Navarre (أسبانيا).

٢٥- جبال البرانس Pyrenean Mountains.

٢٦- منطقة لانغيدوك Languedoc (فرنسا).

٢٧- منطقة غاسكوني Gascony (فرنسا).

٢٨- نهر لشبونة River of Lisbon.

٢٩- خليج بسكاي Bay of Biscay.

٣٠- منطقة يوركشاير Yorkshire.

٣١- منطقة توربای Torbay.

٣٢- ساحل الكاريبي Caribbean Coast.

٣٣- البلاد الشمالية Northern Countries.

تضمنت أحداث الرواية ذكر عدد كبير جدًا من الصفات الجغرافية. وفيما يلي استعراض وافي ومفصل لهذه الصفات الجغرافية:

١- سفينة القراصنة العثمانيين Turkish rover of Sallee.

٢- محارب أسباني Spanish man-of-war.

٣- محارب برتغالي Portugal man-of-war.

٤- رجل إنجليزي English man.

٥- رجل أيرلندي Irish man.

obeikandl.com

٦- رجل اسكتلندي Scotch man.

٧- سفينة إنجليزية English ship.

٨- عبد إنجليزي English slave.

٩- أمم الزنوج Nations of negroes.

١٠- سفينة أوروبية European ship.

١١- سفينة برتغالية Portuguese ship.

١٢- بحار اسكتلندي Scotch sailor.

١٣- قارب أوروبي European boat.

١٤- اللغة البرتغالية Portuguese tongue.

١٥- اللغة الأسبانية Spanish.

١٦- اللغة الفرنسية French.

١٧- والدين إنجليزيين English parents.

١٨- بضاعة إنجليزية English goods.

١٩- عبد زنجي Negro slave.

٢٠- خادم أوروبي European servanz.

٢١- الجبن الهولندية Dutch cheeses.

٢٢- نقود أوروبية European coin.

٢٣- نقود برازيلية Brazil coin.

٢٤- كتب برتغالية Portuguese books.

٢٥- مغامرة أفريقية African adventure.

٢٦- شعير إنجليزي English barley.

٢٧- لحم خنزير برازيلي Brazil pork.

٢٨- رجال إنجليز English- men.

obeikandl.com

٢٩- البرازيليين Brazilians.

٣٠- قطط أوروبية European cats.

٣١- مناطق السيادة الأسبانية Spanish dominions.

٣٢- الساحل الأسباني Spanish coast.

٣٣- الدولة الأسبانية Spanish country.

٣٤- أسود ونمور أفريقيا Lions and tigers of Africa.

٣٥- الأوروبيين Europeans.

٣٦- الأتراك (العثمانيين) Turks.

٣٧- المغاربة Moors.

٣٨- الفلسطينيين Philistines.

٣٩- الأسباني Spaniard.

٤٠- الأسبان Spaniards.

٤١- أحذية إنجليزية English shoes.

٤٢- سكان أمريكا الأصليين Natives of America.

٤٣- الفرجينيين Virginians.

٤٤- الكاريبيين Caribs- Caribbees.

٤٥- برتغاليين Portuguese.

٤٦- أخشاب نيكاراغوا Nicaragua wood.

٤٧- سفينة أسبانية Spanish ship.

٤٨- بضائع أوروبية European goods.

٤٩- بحارة برتغاليين Portuguese seamen.

٥٠- قارب إنجليزي طويل English long-boat.

٥١- هولنديين Dutch.

obeikandl.com

٥٢- خمر مادیرا Madeira wine.

٥٣- حرير إيطالي Italian silks.

٥٤- جوخ إنجليزي English broadcloth.

٥٥- قراصنة جزائريين Algerines.

٥٦- سيد إنجليزي English gentleman.

٥٧- تجار إنجليز English merchants.

٥٨- سادة برتغاليون Portuguese gentlemen.

٥٩- بحار إنجليزي English sailor.

٦٠- سادة فرنسيين French gentlemen.

٦١- قبطان إنجليزي English captain.

٦٢- اللغة الإنجليزية English.

٦٣- تاجر غينيا Guinea trader.

٦٤- غلال غينية وعاج غيني Guinea grains، elephant teeth.

٦٥- سفن البرازيل Brazil ships.

٦٦- هنود البيرو Indians of Peru.

العلامات الجغرافية التي تمتلئ بها الرواية لا تتمثل في المسميات الجغرافية فحسب، بل تكتنز الرواية بالكثير من الأحداث الجغرافية. وفي مسح تحليلي لسائر هذه الأحداث الجغرافية، نجد أن أغلبها تدور حول النقاط التالية:

١- المغامرة الجغرافية.

٢- السفر البحري.

٣- السفر البري.

٤- التنوع الإثني والحضاري للشخصيات.

obeikandl.com

٥- استخدام الجهات الأربع وتفريعاتها.

٦- تخمين وتقدير المسافات والمواقع.

٧- الوصف الجغرافي للأماكن.

٨- تضمين معلومات وشروحات جغرافية.

٩- استخدام دوائر العرض وخطوط الطول.

١٠- الاستكشاف الجغرافي للأماكن.

١١- أهمية المرتفعات.

١٢- الاهتمام بحركتي المد والجزر، وتيار البحر، وحركة الأمواج.

١٣- الاهتمام بسرعة الرياح واتجاهاتها.

١٤- قصد خليج أو مصب نهر، من أجل عملية الرسو.

١٥- التعرض للكوارث الطبيعية.

١٦- التنوع المناخي، والحديث عن الحالة الجوية.

١٧- الجغرافيا الزراعية.

١٨- الحظ وسوء الحظ الجغرافي.

١٩- تضاريس الجزيرة.

٢٠- الاستفسار عن معلومات جغرافية.

- ثانيًا: تصنيف العلامات الجغرافية.

فيما سبق كشفنا ورصدنا العلامات الجغرافية الموجودة في رواية روبنسون كروزو. فقد ذكرنا ووضحنا كل نوع من العلامات الجغرافية على حدة، بدءًا من الأماكن، إلى الصفات، وحتى

obeikandl.com

الأحداث. إذا ما أردنا أن نصنف العلامات الجغرافية الخاصة بالرواية ككل، فعلينا بالتأكيد أن نصنفها إلى ما هو مؤثر، وما هو غير مؤثر.

في البداية، يمكننا القول أن سائر الأحداث الجغرافية التي تضمنتها رواية روبنسون كروزو، كانت مؤثرة. أما بالنسبة للصفات الجغرافية، فيمكننا القول أن أغلب الصفات الجغرافية التي جاءت في الرواية كانت بالفعل مؤثرة، ولكن تبقى هناك بعض الصفات القليلة الغير مؤثرة، كهذه الصفات:

١) الفلسطينيين Philistines.

٢) هنود البيرو Indians of Peru.

٣) قراصنة جزائريين Algerines.

من يقرأ الرواية جيدًا، يدرك أن هذه الصفات الجغرافية وأمثالها غير مؤثرة تمامًا، فلا علاقة لها مطلقًا بحبكة النص ولا بالمضمون العام لأحداث الرواية. فأي من أحداث الرواية لم يحدث في فلسطين، ولا حتى في البيرو ولا في الجزائر. ولم تكن أي من شخصيات الرواية من أي من هذه البلدان الثلاثة.

يبدو منطقيًا عدم وجود أي علاقة بين حبكة الرواية وكل من فلسطين و البيرو والجزائر. لذلك فعدم وجود هذه الصفات الثلاث من حيث الأساس، لا يسبب الضرر لحبكة الرواية ولا يؤثر سلبًا على اتجاهها العام، وذلك لأن الصفات الثلاث كما ذكرنا غير مؤثره. هكذا صفات ربما تكون بالفعل غير مؤثرة على مسيرة النص وحبكته، لكنها وبدون شك تضفي قيمة جمالية رائعة على النص الذي تتواجد فيه.

على خلاف الصفات الثلاث سالفة الذكر، يمكننا القول أن غالبية الصفات الجغرافية التي احتوتها الرواية، تعد صفات أو علامات مؤثرة. فثمة علاقة توجد بشكل أو بآخر، بين حبكة الرواية وهذه الصفات.

تعد الأماكن، أفضل وأسهل أنواع العلامات الجغرافية، التي يمكن تصنيفها إلى ما هو مؤثر وغير مؤثر. فالمكان المؤثر هو ما يقع أو يحدث على أرضه أو رقعته، شيء من أحداث العمل الأدبي. أما الغير مؤثر من الأماكن، فهو الذي لا يستضيف شيئًا من أحداث العمل الأدبي على أرضه.

الأماكن المؤثرة في الرواية:

١- انجلترا England.

٢- غينيا Guinea.

٣- المغرب Morocco.

٤- موريتانيا.

٥- السنغال Senegal.

٦- الجزيرة الكاريبية.

٧- البرازيل Brazil - Brazils.

٨- البرتغال Portugal.

٩- أسبانيا Spain.

١٠- فرنسا France.

١١- مدينة يورك York.

١٢- مدينة هل Hull.

١٣- مدينة لندن London.

١٤- مدينة كرومر Cromer.

١٥- مدينة يارموث Yarmouth.

١٦- مدينة سلا Sallee.

obeikandl.com

١٧- مدينة لشبونة Lisbon.

١٨- مدينة سلفادور St. Salvador.

١٩- مدينة مدريد Madrid.

٢٠- مدينة باريس Paris.

٢١- مدينة دوفر Dover.

٢٢- مدينة بامبلونا Pampeluna.

٢٣- مدينة كاليه Calais.

٢٤- مدينة تولوز Toulouse.

٢٥- منطقة ونترتون نيس Winterton Ness.

٢٦- ساحل أفريقيا Coast of Africa.

٢٧- الساحل البربري Barbarian Coast.

٢٨- خليج جميع القديسين All Saints Bay.

٢٩- جزر الكاريبي Caribbee Islands.

٣٠- منطقة نافارا Navarre.

٣١- جبال البرانس Pyrenean Mountains.

٣٢- منطقة لانغيدوك Languedoc.

٣٣- منطقة غاسكوني Gascony.

٣٤- منطقة يوركشاير Yorkshire.

٣٥- أمريكا America.

٣٦- أوروبا Europe.

obeikandl.com

الأماكن الغير مؤثرة:

١- الرأس الأخضر Cape de Verde.

٢- بربادوس Barbadoes.

٣- غويانا Guiana.

٤- ترينيداد Trinidad.

٥- مصر Egypt.

٦- الهند East Indies.

٧- جامايكا Jamaica.

٨- ألمانيا Germany.

٩- مدينة بريمن Bremen.

١٠- مدينة دونكيرك Dunkirk.

١١- مدينة نيوكاسل Newcastle.

١٢- مدينة القدس Jerusalem.

١٣- مدينة بيونس ايرس Buenos Ayres.

١٤- مدينة هافانا Havannah.

١٥- مدينة فونتاريبيا Fontarabia.

١٦- مدينة بوردو Bordeaux.

١٧- مدينة روشيل Rochelle.

١٨- مدينة لاكورونيا Groyne.

١٩- مدينة سانتا مارتا St. Martha.

٢٠- مدينة اليكانتي Alicant.

٢١- جبل تنريف Pico of Teneriffe.

٢٢- جزر الكناري Canary Islands.

obeikandl.com

٢٣- الساحل الأسباني Coast of Spain.

٢٤- خليج قادش Bay of Cadiz.

٢٥- نهر غامبيا Gambia River.

٢٦- نهر السنغال Senegal River.

٢٧- رأس سانت أوغسطين Cape St. Augustino.

٢٨- جزر فرناندو دي نورونها Fernando de Noronha .

٢٩- نهر الأمازون The River Amazon.

٣٠- نهر أورينوكو The River Orinoco.

٣١- خليج المكسيك Gulf of Mexico.

٣٢- الجزر الإنجليزية English Islands.

٣٣- خور ريو دي لا بلاتا Rio de la Plata.

٣٤- جزر ليوارد Leeward Islands.

٣٥- شمال البرازيل The North Part of Brazil.

٣٦- نهر لشبونة River of Lisbon.

٣٧- خليج بسكاي Bay of Biscay.

٣٨- منطقة توربای Torbay.

٣٩- ساحل الكاريبي Caribbean Coast.

٤٠- البلاد الشمالية Northern Countries.

obeikandl.com

- ثالثًا: تحليل العلامات الجغرافية.

بعد أن حصرنا العلامات الجغرافية الواردة في الرواية، ومن ثم صنفناها، علينا الآن أن نفسر هذه العلامات وأن نحللها جيدًا، إذ يبدو تفسير العلامات الجغرافية الواردة في رواية روبنسون كروزو على النحو التالي:

- الأماكن.

١) إنجلترا England:

هي البلد التي ينتمي إليها روبنسون كروزو. بدأت أحداث الرواية من إنجلترا وفي نهاية الرواية عادت الأحداث مرة أخرى إليها. بدأ روبنسون مغامراته داخل إنجلترا، ومن ثم انطلاقًا منها نحو العالم. تنقلًا بين الشمال والشرق والجنوب، كثير من أحداث الرواية وتفاصيل حبكتها وقعت فوق أماكن مختلفة من التراب الإنجليزي، والمياه الإقليمية الإنجليزية.

٢) غينيا Guinea:

ليس بالضرورة أن يكون الامتداد الجغرافي والمساحة الجغرافية لغينيا في عهد روبنسون كروزو، هما ذات الامتداد والمساحة اللذان نعهدهما الآن لغينيا الحديثة. فباعتقادي أن غينيا في عصر روبنسون كروزو كانت أكبر مساحة وأوسع امتدادًا، من غينيا التي نعهدها اليوم بحدودها الحالية.

على أي حال، كانت غينيا هي أول بلد أجنبي يسافر إليه روبنسون في مغامراته. فقد استهل روبنسون رحلاته البحرية الخارجية، برحلة إلى سواحل غينيا.

٣) المغرب Morocco:

هي ثاني دولة أفريقية تطأها قدمي روبنسون كروزو بعد غينيا. في عهد روبنسون كروزو ووفقًا لوجهة النظر الغربية، كانت المغرب جزءًا من الساحل البربري. أما القراصنة الأتراك العثمانيين، الذين يتخذون مواضع من الساحل المغربي قاعدة لهم، فقد اختطفوا روبنسون من عرض المياه. ليصير روبنسون عبدًا عندهم.

قضى روبنسون سنتين من عمره عبدًا مملوكًا عند سيده في المغرب، قبل أن يفر إلى مياه الأطلسي وينجو من عبوديته بأعجوبة.

٤) موريتانيا:

اسم موريتانيا لم يتم ذكره بشكل صريح وواضح في أحداث الرواية. وإنما استنتجنا انخراط موريتانيا في أحداث الرواية من خلال الشرح والوصف الذي قدمه روبنسون عنها في عدة مناسبات، كقوله عنها (بحسب تخميناتي أنا الآن في الدولة التي تقع بين المغرب والزنوج).

لم يتوغل روبنسون في اليابسة الموريتانية، وإنما بعد هروبه من العبودية وبرفقته كزوري، كان يبحر بمحاذاة الساحل الموريتاني، وكان بين الفينة والأخرى يرسو على مناطق من الساحل الموريتاني، من أجل جلب الماء الصالح للشرب، وتحقيق بعض المنافع الأخرى.

٥) السنغال Senegal:

السنغال كدولة وليست كنهر، لم يتم ذكر اسمها هي الأخرى بشكل صريح وواضح في أحداث الرواية. وإنما استنتجنا انخراطها في أحداث الرواية من خلال شروحات وتوصيفات وإيحاءات روبنسون حولها. على الأرجح أن قدمي روبنسون لم يطئا الساحل السنغالي، وإنما اكتفى بوجوده في قاربه على مقربة شديدة من الساحل. أما كزوري فقد نزل إلى الساحل السنغالي أكثر من مرة ليجلب الماء الصالح للشرب.

٦) البرازيل Brazil - Brazils:

حين ذهب روبنسون إلى البرازيل، كانت البرازيل آنذاك مجموعة من المستعمرات البرتغالية. أي بمفهوم الجغرافيا القديمة لم تكن البرازيل دولة مستقلة، أما بمفهوم الجغرافيا الحديثة المعاصرة، فالبرازيل اليوم هي دولة اتحادية مستقلة.

بعد أن فر روبنسون من عبوديته، حمله القبطان البرتغالي على ظهر سفينته إلى البرازيل. كان روبنسون بمثابة المهاجر من العالم القديم (الواضح المعالم)، إلى العالم الجديد (الغير مكتمل الوضوح بعد). لقد انسجم روبنسون في حياته مع نمط الحياة في البرازيل، وسرعان ما ذاب وانصهر في بوتقة التعدد الإثني والأنثروبولوجي، التي كان ولا زال يتميز بها المجتمع البرازيلي.

٧) الجزيرة الكاريبية:

هي الجزيرة التي قضى فيها روبنسون ثمانية وعشرين عامًا من العزلة. بحسب التخمينات، تقع هذه الجزيرة بالقرب مما يتعارف عليه اليوم بجزيرة ترينيداد. والطريف في الأمر هو أن روبنسون، بالرغم من توصيفه الجغرافي الدقيق للعديد من الأماكن والمناطق، إلا أنه لم يذكر اسمًا معينًا ليعرف به عن هذه الجزيرة. وبالتالي لا يمكننا التوصل إلى التسمية التي تحملها هذه الجزيرة في عصرنا ووقتنا هذا.

بالفعل كان روبنسون مقصرًا في حق جزيرته، والتي كانت بمثابة المسرح للغالبية العظمى من أحداث الرواية. فقد اهتم روبنسون بذكر تسميات أماكن كثيرة جدًا، بعضها لم تكن ذات أهمية وتأثير في الرواية، إلا أنه وبكل المقاييس يظل مقصرًا في حق جزيرته، التي مكث فوق أرضها ثمانية وعشرين عامًا.

تلك الجزيرة الأطلسية الكاريبية كانت استوائية المناخ، وخالية تمامًا من السكان، باستثناء روبنسون ومن جاء عنده فيما بعد من نفر قلائل. بحسب استكشاف روبنسون لجزيرته من فوق قمم التلال، وجدها ووصفها على النحو التالي:

(جزيرة صغيرة الحجم، يحفها الماء من كل جانب، لا يكاد يرى بجوارها شيء من تشكيلات اليابسة، سوى بعض الصخور المتناثرة، وجزيرتين صغيرتين أخريين أقل منها حجمًا).

بحسب وصف روبنسون لمكان وموقع الجزيرة، نستنتج أنها كانت تقع إلى الشمال قليلًا من سواحل فنزويلا أو غويانا أو دلتا نهر الأورينوكو، أو كما ذكرنا من قبل، بالقرب من جزيرة ترينيداد.

٨) البرتغال Portugal:

هي أول دولة أوروبية بعد إنجلترا يذهب إليها روبنسون في مغامراته. العلاقة بين البرتغال والبرازيل هي علاقة وثيقة جدًا، فكما ذكرنا من قبل، إن البرازيل في عهد روبنسون كروزو، كانت جزءًا من الإمبراطورية البرتغالية المترامية الأطراف.

عندما أراد روبنسون أن يعرف مصير مزارعه في البرازيل، توجه مباشرة إلى البرتغال، لأن البرازيل في ذلك العصر كانت تابعة إداريًا للحكومة البرتغالية المركزية في لشبونة.

جاء روبنسون إلى البرتغال قادمًا من إنجلترا، في رحلة بحرية عبر مياه الأطلسي، لكنه عندما بارح البرتغال عائدًا إلى إنجلترا، سلك الطرق البرية مارًا باليابستين الأسبانية والفرنسية.

٩) أسبانيا Spain:

كانت أسبانيا ثاني دولة أيبيرية بعد البرتغال، تطأ أرضها قدمي روبنسون كروزو. وكانت ثالث دولة أوروبية في ذلك الشأن بعد كل من إنجلترا والبرتغال. مر روبنسون باليابسة الأسبانية في طريق عودته من البرتغال إلى بلاده إنجلترا. بدءًا من مدريد وحتى دخوله الحدود الفرنسية، مر روبنسون بالعديد من المدن والقرى الأسبانية، لكنه لم يستقر مطلقًا في أي من هذه المدن أو القرى، مكتفيًا بالمرور فحسب.

١٠) فرنسا France:

هي آخر دولة وصل إليها روبنسون في رحلته البرية، قبل أن يصل إلى بلده إنجلترا. كانت فرنسا ولا زالت بمثابة الفاصل الثقافي والحضاري بين دولتي أيبيريا في الجنوب، والجزر البريطانية

في الشمال، لم يستقر روبنسون في أي من المدن أو القرى الفرنسية، وإنما مر بها مجرد مرور العابر المسافر، أي كما فعل في أسبانيا تمامًا.

١١) يورك York:

تقع مدينة يورك في شمال إنجلترا، وهي ليست مدينة ساحلية. يورك هي المدينة التي ولد فيها روبنسون كروزو، وهي المدينة التي عاش فيها أهل روبنسون كروزو وأسرته.كما وأنها المدينة التي انطلق منها روبنسون لأداء مغامراته.

١٢) هل Hull:

تقع مدينة هل في الناحية الشمالية الشرقية من اليابسة الإنجليزية، وهي مدينة ساحلية، وهي بالمناسبة ليست ببعيدة عن مدينة يورك. بعد خروج روبنسون من يورك توجه مباشرة إلى هل، ومن ميناء هل بدأ رحلته البحرية التي كانت مزمعة إلى لندن.

١٣) كرومر Cromer:

تقع مدينة كرومر شرقي إنجلترا، وهي مدينة ساحلية، تعد أحد مدن الساحل الشرقي لإنجلترا. بعد تعثر الرحلة البحرية التي كان روبنسون من ضمنها، وبعد فشلها في استكمال المشوار نحو لندن. نزلت الرحلة اضطراريًا عند ساحل كرومر.

١٤) يارموث Yarmouth:

تقع في أقصى شرق إنجلترا، وهي مدينة ساحلية، تعد أحد أهم مدن الساحل الشرقي لإنجلترا. بعد نزول روبنسون وبقية المسافرين معه اضطراريًا عند ساحل كرومر، لم يواصلوا مسيرتهم إلى لندن بحرًا، بل توجهوا جميعًا إلى يارموث سيرًا على الأقدام. وفي يارموث تفرق روبنسون عن من سافر برفقتهم، وقرر استكمال الطريق نحو لندن لوحده، وعبر الطرق البرية.

١٥) لندن London:

هي عاصمة إنجلترا، أما عن الموقع، فتقع لندن في الطرف الجنوبي من اليابسة الإنجليزية. وبفضل نهر التيمزThames، لا تبتعد لندن كثيرًا عن الساحل الشرقي لإنجلترا.

كانت لندن هي آخر المحطات الداخلية التي وصل إليها روبنسون، قبل أن يستهل رحلاته ومغامراته الخارجية. بالفعل كانت لندن بمثابة نقطة التحول في حياة وسيرة روبنسون كروزو، فمن خلال لندن خرج روبنسون من نطاق الرحلات المحلية والداخلية، وانطلق إلى فضاء رحب وواسع من الرحلات والمغامرات الخارجية والدولية. بالفعل بدأ روبنسون رحلاته تجاه العالم الخارجي من لندن، وذلك عندما أبحر منها إلى شواطئ غينيا.

١٦) سلا Sallee:

مدينة مغربية تقع على ساحل المحيط الأطلسي. أمضى روبنسون سنتين من عمره، عبدًا مملوكًا عند سيده في تلك المدينة، قبل أن يفر إلى مياه الأطلسي ويحرر نفسه من نير العبودية. بهويتها الإسلامية والغير أوروبية، تمثل سلا نموذجًا مغايرًا لكافة المدن الأخرى التي مر بها روبنسون في مغامراته.

١٧) سلفادور St. Salvador:

مدينة برازيلية تقع على ساحل المحيط الأطلسي، وهي عاصمة ولاية باهيا Bahia. كانت سلفادور هي الميناء المعتمد عند روبنسون ورفاقه من الزراع والتجار في البرازيل. وعلى الأغلب كان ميناء سلفادور، هو الميناء الذي انطلقت منه رحلة روبنسون ورفاقه. وهي الرحلة التي كانت مزمعة إلى ساحل غينيا، بهدف جلب العبيد من هناك.

١٨) لشبونة Lisbon:

عاصمة البرتغال الحديث، وعاصمة الإمبراطورية البرتغالية إبان العصور الاستعمارية. فضلًا عن ذلك، لشبونة مدينة ساحلية تقع غربي البلاد، وتطل على المحيط الأطلسي.

بعد انتهاء فترة تشرده الطويلة وبعد عودته إلى بلاده انجلترا، قرر روبنسون أن يذهب إلى لشبونة، كي يتعرف على المصير الذي آلت إليه مزارعه وأعماله في البرازيل. فسافر روبنسون من إنجلترا إلى لشبونة بحرًا عبر مياه الأطلسي، وكان برفقته فرايدي. وبعد أن أنهى روبنسون إجراءاته في لشبونة، عاد أدراجه إلى إنجلترا، ولكن هذه المرة برفقة مجموعة من المسافرين، وليس عن طريق البحر، وإنما عبر السبل البرية، مارًا في طريقه باليابستين الأسبانية والفرنسية.

١٩) مدريد Madrid:

عاصمة أسبانيا، وثاني عاصمة أيبيرية يزورها روبنسون بعد لشبونة. تقع مدريد في قلب اليابسة الأسبانية، وهي مدينة حبيسة ليست لها أية سواحل. كانت مدريد أول محطة هامة يصل إليها روبنسون، بعد مغادرته للبرتغال في رحلته البرية.

٢٠) بامبلونا Pampeluna:

تقع في أقصى شمال أسبانيا، وهي مدينة حبيسة ليست ذات سواحل، وتعد كذلك عاصمة إقليم نافارا. مر روبنسون بمدينة بامبلونا في رحلته البرية، وتحديدًا عندما كان في طريقه من أسبانيا إلى الحدود الجنوبية لفرنسا.

٢١) تولوز Toulouse:

مدينة هامة تقع في جنوب فرنسا، وهي ليست ساحلية. بعد تخلص روبنسون ورفاقه في السفر من الأخطار والأهوال العظيمة، التي واجهوها أثناء اجتيازهم جبال البرانس. ذهبوا مباشرة إلى تولوز، وبعد ذلك تحركوا من تولوز شمالًا باتجاه باريس.

٢٢) باريس Paris:

عاصمة فرنسا، تقع في الشمال، وهي مدينة حبيسة ليس لها سواحل على أي نوافذ مائية كبرى. بعد قدوم روبنسون ومن معه من تولوز إلى باريس، لم يمكثوا في باريس مطلقًا، بل توجهوا مباشرة شمالًا نحو كاليه.

٢٣) كاليه Calais:

مدينة ساحلية، تشرف بسواحلها على القنال الإنجليزي، وتقع في أقصى شمال اليابسة الفرنسية. كانت كاليه آخر المحطات التي وصل إليها روبنسون، في رحلته البرية داخل فرنسا. وانطلق روبنسون من كاليه ليعبر القنال الإنجليزي باتجاه دوفر.

٢٤) دوفر Dover:

هي مدينة ساحلية، تقع في أقصى الجنوب الشرقي لليابسة الإنجليزية. تقع دوفر على الضفة الإنجليزية للقنال الإنجليزي، أي مقابل مدينة كاليه الفرنسية. كانت دوفر أول مدينة إنجليزية تطأها قدمي روبنسون، في رحلته البرية التي بدأها من لشبونة.

٢٥) نافارا Navarre:

يقع إقليم نافارا في أقصى شمال أسبانيا، أي إلى الجنوب من الحدود الفرنسية. بامبلونا هي عاصمة الإقليم. مر روبنسون بإقليم نافارا عندما كان في طريقه من أسبانيا إلى فرنسا، وذلك في رحلته البرية، التي انطلقت من البرتغال.

٢٦) ونترتون نيس Winterton Ness:

منطقة تقع على الساحل الشرقي لإنجلترا، بالقرب من مدينة كرومر. على الأغلب أن روبنسون نزل عند شاطئ ونترتون نيس أو مر بها، وذلك عندما لجأ هو وأفراد الرحلة المنكوبة اضطراريًا إلى مدينة كرومر.

٢٧) يوركشاير Yorkshire:

إقليم أو منطقة جغرافية كبرى، تقع شمال إنجلترا، وتضم في رقعتها الممتدة مدن إنجليزية عديدة. لعل من أبرزها مدينتي هل، ويورك (مسقط رأس روبنسون).

بعد عودة روبنسون من الجزيرة الكاريبية إلى إنجلترا، ذهب مباشرة إلى يوركشاير، كي يتفقد أحوال أهله هناك. وحينها وجد والديه قد فارقا الحياة، ولم يجد سوى اثنتين من أخواته، واثنين من أبناء أخيه.

٢٨) ساحل أفريقيا Coast of Africa:

المقصود بساحل أفريقيا في هذه الرواية، هو الساحل الغربي لأفريقيا. أي ساحل أفريقيا المطل على المحيط الأطلسي. وقد كان لروبنسون تجارب عديدة مع هذا الساحل. بداية من زيارته لساحل غينيا، والذي يعد جزءًا من هذا الساحل الكبير. ثم تجربة أسره واستعباده في منطقة ما من الساحل المغربي، أو ساحل مدينة سلا بالتحديد. وحتى عندما نجح روبنسون في الفرار من عبوديته، لجأ على الأرجح إلى مواضع من ساحلي موريتانيا والسنغال، وذلك من أجل الحصول على مياه الشرب.

٢٩) الساحل البربري Barbarian Coast:

هو اسم تاريخي، أطلقه الأوروبيون على ساحل شمال أفريقيا. كان الساحل المغربي وساحل مدينة سلا بالتحديد، جزءًا من ذلك الساحل البربري الكبير. وكما نعلم أن روبنسون كانت له تجربة مع ساحل مدينة سلا.

٣٠) خليج جميع القديسين All Saints Bay:

يقع خليج جميع القديسين في ولاية باهيا البرازيلية، مدينة سلفادور المطلة على المحيط الأطلسي، هي أحد أبرز معالم ذلك الخليج. وقد كان خليج جميع القديسين، أول مكان يصل إليه روبنسون عند قدومه إلى البرازيل.

٣١) جزر الكاريبي Caribbee Islands:

هي الجزر التي تقع ضمن البحر الكاريبي، ويسميها البعض جزر الهند الغربية. في أحداث الرواية تم التطرق إلى أسماء العديد من هذه الجزر، كبربادوس وترينيداد. أما الجزيرة الكاريبية التي لا نعرف اسمها لحد الآن، فهي الأكثر أهمية، لأنها هي الجزيرة التي أمضى روبنسون فوق يابستها ثمانية وعشرين عامًا من العزلة. إذًا في خلاصة الحديث، يمكننا القول أن روبنسون أمضى ثمانية وعشرين عامًا من التيه والعزلة، قضاها في غياهب الكاريبي.

٣٢) جبال البرانس Pyrenean Mountains:

سلسلة من الجبال الوعرة، تقع شمال أسبانيا وجنوب فرنسا. مر روبنسون بجبال البرانس وعبرها هو ورفاقه في السفر. وذلك عندما كان في رحلته البرية، وبالتحديد عندما كان في طريقه من أسبانيا إلى فرنسا.

٣٣) الرأس الأخضر Cape de Verde:

دولة مستقلة تتألف من أرخبيل من الجزر، وتتبع قارة أفريقيا. تقع جزر الرأس الأخضر في المحيط الأطلسي، وتحديدًا إلى الغرب من سواحل السنغال وموريتانيا. عندما فر روبنسون من عبوديته، وأبحر بمحاذاة الساحل الأفريقي متوجهًا نحو الجنوب، كان يسعى للوصول إلى أقرب نقطة ممكنة من جزر الرأس الأخضر، وذلك لعلمه بالتواجد الكثيف للسفن الأوروبية في منطقة ومحيط هذه الجزر.

٣٤) بربادوس Barbadoes:

هي الآن دولة مستقلة، وأحد جزر الكاريبي في نفس الوقت. عندما فشلت السفينة في التوجه نحو ساحل غينيا، وجرفها المحيط باتجاه جزر الكاريبي، اقترح روبنسون على طاقم السفينة ألا يحاولوا العودة إلى ساحل البرازيل، وأن يهتدوا بدلًا من ذلك، إلى شواطئ أحد الجزر الكاريبية الإنجليزية (الأملاك الإنجليزية في الكاريبي آنذاك)، كبربادوس مثلًا.

٣٥) غويانا Guiana:

هي دولة تقع شمال البرازيل، وشمال قارة أمريكا الجنوبية عمومًا. عندما فشلت السفينة في التوجه نحو ساحل غينيا وجرفها المحيط باتجاه الغرب، قدر قائد السفينة وبناءًا على القياسات التي أجراها، أن سفينته ربما تكون قد صارت، في المياه المقابلة لساحل غويانا.

٣٦) ترينيداد Trinidad:

هي جزيرة كاريبية، تقع إلى الشمال قليلًا من ساحل فنزويلا. بناءًا على المعلومات الجغرافية التي أخذها عن فرايدي، وبناءًا على استنتاجاته المسبقة، توقع روبنسون أن جزيرته ربما تقع، إلى الشرق قليلًا من جزيرة ترينيداد.

٣٧) مصر Egypt:

هي الدولة العربية والأفريقية التي نعرفها جميعًا، لم يكن لها مطلقًا أي علاقة بمجريات أحداث الرواية. وإنما ورد ذكر اسم مصر في الرواية، من خلال حديث الرجل الأسباني لروبنسون. وذلك عندما قال الأسباني مخاطبًا روبنسون: (كما تعلم أن بني إسرائيل في البداية فرحوا وكانوا ممتنين للرب، لأنه أخرجهم من مصر، ولكنهم سرعان ما ثاروا على الرب نفسه وعصوه).

٣٨) الهند East Indies:

بالتأكيد نقصد بالهند، تلك الدولة العظمى التي تقع جنوب آسيا. أيًا من أحداث الرواية لم يقع فوق أرض الهند، ولكن تمت الإشارة إلى الهند مرتين في أحداث الرواية. المرة الأولى كانت عندما قال روبنسون، أن الكثير من السفن الأوروبية التي تمر بجزر الرأس الأخضر تكون وجهتها إلى الهند. والمرة الثانية كانت في نهاية الرواية، عندما ذكر روبنسون أنه سوف يبحر إلى الهند كتاجر.

٣٩) جامايكا Jamaica:

هي الآن دولة مستقلة، وهي كذلك جزيرة كبيرة، تقع شمال البحر الكاريبي، وإلى الجنوب من كوبا. تم التطرق إلى ذكر جامايكا، في خضم مساعي روبنسون والقبطان الإنجليزي، من أجل استعادة السفينة المختطفة. فقد كان القبطان الإنجليزي يفكر في أن يبحر بسفينته بعد أن يستعيدها، إلى جامايكا.

٤٠) ألمانيا Germany:

بالتأكيد ألمانيا هي تلك الدولة الأوروبية الكبرى ، التي نعرفها جيدًا. ومما لا شك فيه أن ألمانيا كمكان، كانت بعيدة كل البعد عن مجريات أحداث الرواية. لكن روبنسون تطرق بشكل عابر في هذه الرواية إلى اسم ألمانيا، وذلك ضمن تعليقه على قيام فرايدي بقطع رأس أحد المتوحشين بضربة سيف واحدة. إذ قال روبنسون حينها: (لا يوجد هناك منفذ أحكام إعدام في ألمانيا، باستطاعته أن يفعل ذلك بشكل أسرع أو أفضل من فرايدي).

٤١) جزر ليوارد Leeward Islands:

الليوارد، هي تسمية تطلق على جزر الأنتيل الصغرى الشمالية، مثل أنتيجوا وبربودا Antigua and Barbuda وسانت كيتس ونيفيس Saint Kitts and Nevis وغيرها من الجزر المجاورة.

أي من أحداث الرواية لم يقع في أي من جزر الليوارد. لكن تسمية جزر الليوارد وردت في الرواية، عندما قال روبنسون أنه يستطيع إصلاح الخرق الذي أحدثه هو ورفاقه في القارب، بحيث يتعافى هذا القارب، ويصير بمقدوره أن يبحر ويصل لمسافات بعيدة، كجزر الليوارد مثلًا.

٤٢) بريمن Bremen:

مدينة تقع في شمال ألمانيا. أيًا من أحداث الرواية لم يقع في مدينة بريمن. لكن روبنسون ذكرها في السطور الأولى من الرواية، وتحديدًا عندما قال، أن أصول والده تنحدر أساسًا من بريمن.

٤٣) دونكيرك Dunkirk:

مدينة ساحلية، تقع في أقصى نقطة من الشمال الفرنسي. أيًا من أحداث الرواية لم يقع في دونكيرك. لكن روبنسون تطرق إلى اسم المدينة في السطور الأولى من الرواية، وتحديدًا عندما قال أن أحد أخويه كان عسكريًا، وقد لقي حتفه في معركة بالقرب من دونكيرك.

٤٤) نيوكاسل Newcastle:

مدينة تقع في شمال إنجلترا. لم يذهب روبنسون إلى تلك المدينة، ولم تصل مغامراته إلى هناك. لكن عندما كان روبنسون في رحلته البحرية الداخلية، المتوجهة إلى لندن، ذكر أن رحلته قابلت في طريقها، العديد من السفن القادمة من نيوكاسل.

٤٥) القدس Jerusalem:

القدس كما نعلم هي عاصمة دولة فلسطين. بدون شك كانت القدس بموقعها المنحاز إلى الشرق، بعيدة تمامًا عن الساحة الرحبة التي تتنقل فيها أو تدور أحداث الرواية.

لكن عندما قام روبنسون بقطع شجرة الأرز العملاقة، تساءل مع نفسه قائلًا: (هل استخدم سليمان مثل هذه الشجرة في بناء هيكل القدس؟).

٤٦) بيونس ايرس Buenos Ayres:

هي عاصمة الأرجنتين، وتطل بشواطئها على المحيط الأطلسي، عبر خور ريو دي لا بلاتا. أي من أحداث الرواية لم يتجاوز البرازيل جنوبًا ليبلغ الأرجنتين. لكن روبنسون ذكر بيونس ايرس، عندما تحطمت السفينة الأسبانية على مقربة من جزيرته المنعزلة. إذ خمن روبنسون

حينها أن تلك السفينة الأسبانية، ربما تكون قد أبحرت من بيونس ايرس أو خور ريو دي لا بلاتا، باتجاه هافانا.

٤٧) هافانا Havannah:

تطل بشواطئها على الجهة الشرقية من خليج المكسيك، وهي عاصمة كوبا. صحيح أن أي من أحداث الرواية لم يتجاوز الكاريبي شمالًا ليبلغ كوبا. لكن روبنسون تطرق إلى ذكر هافانا في أحداث الرواية، وذلك عندما توقع أن السفينة الأسبانية المنكوبة، ربما كانت وجهتها من مكان ما في أمريكا الجنوبية إلى هافانا.

٤٨) نهر الأمازون The River Amazon:

نهر عملاق يجري في قارة أمريكا الجنوبية، ويصب في المحيط الأطلسي. يعد الأمازون أضخم نهر في العالم، وثاني أطول نهر بعد النيل. تحدث روبنسون عن نهر الأمازون، عندما وصف الموقع الذي آلت إليه السفينة، بعد انحرافها عن وجهتها المقررة إلى سواحل غينيا. إذ قال روبنسون حينها، أن السفينة وبحسب تقديرات القبطان، ربما تكون في المياه المقابلة لساحل غويانا، أو في مكان ما وراء مصب نهر الأمازون[1].

٤٩) نهر أورينوكو The River Orinoco:

يعتبر أحد أضخم وأطول الأنهار، التي تجري في قارة أمريكا الجنوبية. الكم الأكبر من مساحة النهر تقع ضمن اليابسة الفنزويلية. ويصب النهر في المحيط الأطلسي، عبر فنزويلا أيضًا. تطرق روبنسون بالذكر إلى نهر الأورينوكو في مرات عديدة. وتحديدًا عندما قال، أن السفينة التي انحرفت عن وجهتها المقررة إلى سواحل غينيا، ربما صارت في المياه المقابلة لمصب نهر أورينوكو. وكذلك عندما استنتج أن جزيرته المنعزلة، لا تبتعد كثيرًا عن مصب الأورينوكو.

(1) أي إلى الغرب من مصب نهر الأمازون.

٥٠) خور ريو دي لا بلاتا Rio de la Plata:

هو خور تصب من خلاله مجموعة من الأنهار في المحيط الأطلسي، وهو يمثل جزءًا كبيرًا من الحدود الفاصلة بين الأرجنتين جنوبًا وأوروغواي شمالًا. تحدث روبنسون عن خور ريو دي لا بلاتا، وذلك عندما توقع أن السفينة الأسبانية المنكوبة، ربما تكون قد أبحرت من هناك.

٥١) رأس سانت أوغسطين Cape St. Augustino:

يقع في أقصى الطرف الشمالي الشرقي لليابسة البرازيلية، ويشرف بساحله على المحيط الأطلسي. تحدث روبنسون عن رأس سانت أوغسطين، في رحلته التي خرج فيها من البرازيل. وتحديدًا عندما ذكر، أن رحلته أبحرت في المياه المقابلة لرأس سانت أوغسطين.

٥٢) جزر فرناندو دي نورونها Fernando de Noronha:

هي مجموعة من الجزر الأطلسية الصغيرة جدًا، تتبع البرازيل، وتقع بمحاذاة الساحل الشمالي الشرقي للبرازيل، أي بالقرب من رأس سانت أوغسطين. تحدث روبنسون عن جزر فرناندو دي نورونها، عندما كان في رحلته التي خرج فيها من البرازيل. وتحديدًا عندما ذكر أن رحلته مرت بجوار هذه الجزر، من ناحية الغرب.

٥٣) الجزر الإنجليزية English Islands:

هي الجزر الكاريبية التي كانت قبل استقلالها تخضع للإدارة الإنجليزية، وتتبع انجلترا. كان هناك الكثير من الجزر الكاريبية الإنجليزية كبربادوس، وجامايكا، وأنتيجوا وبربودا، وسانت كيتس ونيفيس، وغيرها من الجزر.

عندما انحرفت السفينة عن مسارها المقرر إلى ساحل غينيا، وجرفها المحيط غربًا باتجاه الكاريبي، حاول طاقم السفينة الاهتداء إلى شواطئ أحد الجزر الإنجليزية، طلبًا للنجاة والأمان.

٥٤) خليج المكسيك Gulf of Mexico:

هو جسم مائي ضخم، تحيط به اليابستين الأمريكية والمكسيكية من معظم الجهات. ورد ذكر خليج المكسيك في الرواية، عندما انحرفت السفينة عن مسارها المقرر إلى ساحل غينيا، وجرفها المحيط غربًا نحو الكاريبي. حينها قال روبنسون أن طاقم السفينة، خشي الاقتراب من التيارات الجرارة لخليج المكسيك.

٥٥) سانتا مارتا St. Martha:

مدينة تقع شمال كولومبيا، وتطل بشواطئها على البحر الكاريبي. عندما أراد روبنسون أن يصف موقع وامتداد منطقة الكاريبي، قال أنها تمتد من غويانا ومصب نهر الأورينوكو شرقًا حتى سانتا مارتا غربًا.

٥٦) نهر السنغال Senegal River:

يعد أحد أطول الأنهار في قارة أفريقيا، ينبع من مرتفعات غينيا ويصب في المحيط الأطلسي. كما ويمثل الحدود الطبيعية الفاصلة بين دولتي السنغال وموريتانيا.

بعدما فر روبنسون من عبوديته في سلا، وبعدما هرب بمحاذاة الساحل الأفريقي باتجاه الجنوب. أراد أن يصل إلى منطقة نهر السنغال أو نهر غامبيا، كي يبحر من هناك إلى منطقة جزر الرأس الأخضر.

٥٧) نهر غامبيا Gambia River:

ينبع من مرتفعات غينيا، ويصب في المحيط الأطلسي، عبر ساحل غامبيا. بعدما فر روبنسون من عبوديته، وبعدما هرب بمحاذاة الساحل الأفريقي باتجاه الجنوب. أراد أن يصل إلى منطقة نهر غامبيا أو نهر السنغال، كي يبحر من هناك إلى منطقة جزر الرأس الأخضر.

٥٨) جزر الكناري Canary Islands:

جزر تقع في المحيط الأطلسي، إلى الغرب قليلًا من السواحل المغربية. جزر الكناري تتبع أسبانيا، وتعد جزءًا من الدولة الأسبانية. أشار روبنسون إلى جزر الكناري عندما كان في رحلته من إنجلترا إلى غينيا. وتحدث عنها كذلك، عندما كان في رحلة فراره من العبودية، متجهًا نحو الجنوب. وتحديدًا عندما قال، أنه وصل إلى مكان ما من الساحل، ربما يكون مقابل لجزر الكناري.

٥٩) جبل تنريف Pico of Teneriffe:

يعتبر أعلى جبل في أسبانيا، كما ويقع في جزيرة تنريف Tenerife (أكبر جزر الكناري). تحدث روبنسون عن هذا الجبل، عندما ذكر أنه رأى قمته، خلال رحلة هروبه من العبودية. أي حينما كان يبحر على مقربة شديدة من الساحل الغربي لأفريقيا.

٦٠) الساحل الأسباني Coast of Spain:

أي من الأحداث البحرية التي تضمنتها الرواية لم يقع في أسبانيا. وبالتالي فإن سائر السواحل والموانئ الأسبانية بمواقعها وامتداداتها المختلفة، لم تشهد أي من أحداث الرواية. عندما قرر روبنسون أن يفر من عبوديته، كان ينوي في البداية أن يفر شمالًا نحو الساحل الأسباني، لكن الاتجاه المعاكس للريح دفعه للفرار جنوبًا، نحو سواحل موريتانيا والسنغال.

٦١) خليج قادش Bay of Cadiz:

هو جزء من الساحل الأيبيري الجنوبي ، المطل على المحيط الأطلسي. ويمثل جزءًا من الساحل الجنوبي لأسبانيا. عندما أراد روبنسون أن يفر من عبوديته باتجاه السواحل الأسبانية، كان يهدف للوصول إلى خليج قادش على أقل تقدير.

٦٢) نهر لشبونة River of Lisbon:

لعل المقصود بذلك النهر هو نهر تاجة Tagus River. ويعد ذلك النهر هو الأطول على مستوى أنهار شبه جزيرة أيبيريا. ينبع نهر تاجة من المرتفعات الأسبانية، ويعبر الأراضي البرتغالية، ليصب في المحيط الأطلسي، عند ساحل لشبونة. تحدث روبنسون عن نهر لشبونة أو نهر تاجة، عندما كان في زيارته إلى لشبونة. إذ قال حينها روبنسون: (إن السفن الراسية في نهر لشبونة جاهزة للإبحار إلى البرازيل).

٦٣) توربای Torbay:

هي منطقة ساحلية تقع جنوب غربي إنجلترا. تحدث روبنسون عن توربای، عندما كان يخطط للعودة من البرتغال إلى إنجلترا. وتحديدًا عندما ذكر سفينة فقدت بالقرب من توربای، غرق جميع ركابها، باستثناء ثلاثة منهم فقط نجو بأعجوبة.

٦٤) خليج البسكاي Bay of Biscay:

يعد خليج البسكاي جزءًا من المحيط الأطلسي، وهو يقع بين دولتين اثنتين، هما فرنسا وأسبانيا. اقترح القبطان البرتغالي على روبنسون في نصيحته الأولى، أن يبحر عبر خليج البسكاي (من لاكورونيا إلى روشيل) في طريق عودته من البرتغال إلى إنجلترا. لكن روبنسون لم يأخذ بهذه النصيحة من صديقه القديم القبطان، مفضلًا أن يسلك السبل البرية بشكل كامل، على أن يبحر في مياه خليج البسكاي.

٦٥) اليكانتي Alicant:

مدينة تقع جنوب شرق أسبانيا، وهي في نفس الوقت ميناء هام وتاريخي على البحر الأبيض المتوسط. تطرق روبنسون إلى ذكر مدينة اليكانتي، عندما قام هو وفرايدي والرجل الأسباني بجني كميات كبيرة من العنب، تمهيدًا لتجفيفها تحت وطأة أشعة الشمس، وتحويلها إلى زبيب. وعلى ما يبدو أن اليكانتي كانت تشتهر بهذه الصناعة أو العادة.

٦٦) لاكورونيا Groyne:

مدينة ساحلية تقع في أقصى الشمال الغربي لليابسة الأسبانية، كما وتقع على مشارف خليج البسكاي من جهته الجنوبية. نصيحة القبطان البرتغالي الأولى لروبنسون، كانت أن يبحر من لاكورونيا وأن يعبر البسكاي إلى روشيل الفرنسية. لكن روبنسون كما ذكرنا من قبل، لم يأخذ بهذه النصيحة، مفضلًا خوض رحلة عودته إلى إنجلترا، بشكل كامل عبر السبل البرية.

٦٧) روشيل Rochelle:

مدينة فرنسية ساحلية، تطل على خليج البسكاي. بحسب النصيحة الأولى التي أسداها القبطان البرتغالي لروبنسون، كان عليه أن يبحر من لاكورونيا الأسبانية إلى مدينة روشيل. لكن روبنسون أصر على تشاؤمه من البحر، فلم يأخذ بالنصيحة الأولى للقبطان البرتغالي ، مفضلًا أن يأخذ بالنصيحة الثانية، ألا وهي أن يجعل رحلة عودته إلى إنجلترا، رحلة برية خالصة.

٦٨) فونتاريبيا Fontarabia:

منطقة ساحلية تقع في أقصى شمال أسبانيا، وتطل على خليج البسكاي. عندما وصل روبنسون ورفاقه في السفر إلى مدينة بامبلونا، أخذ روبنسون يفكر جديًا في خوض رحلة بحرية قصيرة من فونتاريبيا إلى بوردو الفرنسية. وذلك من أجل الالتفاف حول جبال البرانس، و تجنب الخوض فيها في ظل الشتاء القارص.

٦٩) بوردو Bordeaux:

مدينة تقع إلى الجنوب الغربي من اليابسة الفرنسية، وبفضل خور جيروندGirondeestuary، فهي ليست ببعيدة عن خليج البسكاي. تبادر إلى تفكير روبنسون أن يبحر من فونتاريبيا الأسبانية إلى مدينة بوردو. لكن روبنسون سرعان ما عدل عن هذه الفكرة، مفضلًا سلوك الطرق البرية على الإبحار.

٧٠) غاسكوني Gascony:

مقاطعة فرنسية تاريخية، تقع جنوب غرب فرنسا. عندما كان روبنسون هو ورفاقه في السفر في طريقهم من الشمال الأسباني إلى مدينة تولوز الفرنسية، مروا بمقاطعة غاسكوني.

٧١) لانغيدوك Languedoc:

مقاطعة فرنسية تاريخية، تقع إلى الجنوب من اليابسة الفرنسية، وكانت مدينة تولوز هي عاصمة هذه المقاطعة. تحدث روبنسون عن لانغيدوك عندما رأى ربوعها الخلابة، من فوق جبال البرانس. وبذهابه إلى تولوز يكون روبنسون، قد نزل بلانغيدوك وزارها بالفعل.

٧٢) أوروبا Europe:

تحدث روبنسون في أحداث الرواية مرات عديدة عن قارة أوروبا. ولعل أبرز هذه المرات، عندما ذكر أن السفن المبحرة من أوروبا باتجاه ساحل غينيا، أو البرازيل، أو حتى الهند، جميعها تمر بمنطقة جزر الرأس الأخضر. حتى عندما أخذ روبنسون على عاتقه مهمة تعليم وتثقيف فرايدي، كان يحدثه عن أوروبا.

٧٣) شمال البرازيل The North Part of Brazil:

المقصود بشمال البرازيل في هذه الرواية، هو الساحل الشمالي للبرازيل. وقد تحدث روبنسون عن شمال البرازيل، عندما أخفقت السفينة في التوجه نحو ساحل غينيا، وجرفها المحيط غربًا باتجاه الكاريبي. حينها قال روبنسون أن السفينة ربما صارت، في المياه المقابلة لغويانا أو شمال البرازيل.

٧٤) أمريكا America:

المقصود بأمريكا في هذه الرواية ليس الولايات المتحدة الأمريكية، وإنما أمريكا القارة. ولم يوضح روبنسون إذا ما كان يقصد أمريكا الشمالية أم الجنوبية. لكن دعونا نستنتج أنه بكلمة أمريكا كان يقصد الأمريكيتين معًا بدون تجزيء، أو ربما كان يقصد أمريكا اللاتينية.

تحدث روبنسون عن أمريكا، عندما ذكر أنه هو ورفاق المحنة قد أمسكوا بخارطة أمريكا، وراحوا يبحثوا عن مكان مناسب لترسو عليه سفينتهم، التي جرفها المحيط غربًا. وذكر روبنسون أمريكا مرة أخرى، وذلك عندما تحدث عن الأعمال البربرية والوحشية، التي ارتكبها الأسبان في أمريكا.

٧٥) ساحل الكاريبي Caribbean Coast:

ذكر روبنسون ساحل الكاريبي، وذلك عندما قال: (سمعت من قبل أن ساكني ساحل الكاريبي، هم من المتوحشين وآكلي لحوم البشر).

٧٦) البلاد الشمالية Northern Countries:

المقصود بالبلاد الشمالية في هذه الرواية، هو بلاد شمال أوروبا، وربما بلاد نورديا أو اسكندنافيا تحديدًا. تطرق لها روبنسون بالذكر، عندما قال أن الثلج في شمال أسبانيا كان يملأ الشوارع وبكثافة، لكنه كان ثلجًا هشًا تغوص فيه الأقدام، وليس كثلج البلاد الشمالية، والذي عادة ما يكون متماسكًا ومتحجرًا وفي غاية الصلابة.

****

إنجلترا كدولة، والمدن الإنجليزية بداخلها كلندن ويورك وهل ونيوكاسل وغيرها، كانت جميعها تعني الوطن بالنسبة لروبنسون. نعم التراب الإنجليزي كله، كان يعني الوطن بالنسبة لروبنسون.

إنجلترا ومدنها في عهد روبنسون، كانت ترمز بالتأكيد إلى الثقافة الأوروبية البيضاء، والمسيحية البروتستانتية، والسلالة القوقازية، والجذور البريطانية والأنجلوساكسونية.

أوروبا كانت هي القارة التي انطلقت منها مغامرات روبنسون. أما أمريكا (دعونا نفترض أنها أمريكا اللاتينية)، فقد كانت القارة التي استضافت الكم الأكبر من مغامرات روبنسون

وأحداث الرواية. الفرق بين كلا القارتين يبدو واضحًا وجليًا. فأوروبا تعد جزءًا من العالم القديم. ولولا أوروبا لما اكتشف العالم الجديد. ولولا المهاجرين الأوروبيين، لما كانت هناك مجتمعات بالشكل الذي نعهده اليوم فوق أرض أمريكا.

في المقابل، تعد أمريكا جزءًا من العالم الجديد، والذي اهتدت إليه سفن المستكشفين قبل قرون قليلة فقط. وكما ذكرنا، لولا حركات الهجرة الأوروبية، لما كانت هناك مجتمعات كالتي نعهدها اليوم، قائمة فوق الأراضي الأمريكية. فغالبية سكان الأمريكيتين اللتان نعهدهما اليوم، هم من أصول أوروبية.

في عهد روبنسون، كانت أوروبا تمثل الحضارة والتقدم والنهضة والعلم. أما أمريكا فقد كانت عبارة عن قطع من اليابسة، تسكنها جماعات من المهاجرين وأقوام من البدائيين المتخلفين. آنذاك كان يكتنف أمريكا الكثير من الغموض وفي مختلف الجوانب، وبالتالي كانت أمريكا في حاجة إلى المزيد من استكشافات ومعالجات الأوروبيين لها.

باختصار شديد يمكننا القول، أن أوروبا في عهد روبنسون كانت ترمز إلى النور والوضوح، بينما أمريكا ترمز إلى الظلام والغموض. بالرغم من هذا، أمريكا بالنسبة للمهاجر الأوروبي كانت تعني البشرى والطموح والأمل. لكن في نظر سكان أمريكا الأصليين، كان المهاجر الأوروبي الأبيض، دلالة على الشؤم والشر.

بما أن اسم أفريقيا ورد أيضًا في أحداث هذه الرواية، علاوة على أن كثير من أحداث الرواية وقعت هناك في القارة السمراء. نقول أن أفريقيا كانت تجمع آنذاك، بين عدة عوامل مشتركة مع كل من أوروبا وأمريكا. فأفريقيا تمثل العالم القديم ولها باع طويل في التاريخ الحضاري والإنساني، أي تمامًا كأوروبا. لكنها كانت تشترك مع أمريكا بعض الشيء في خصائص عديدة، مثل الغموض والتخلف والمعاناة من الاستعمار والاستغلال الأوروبي.

فرنسا كدولة، والمناطق والمقاطعات والمدن الفرنسية بداخلها، مثل لانغيدوك وغاسكوني وباريس وتولوز وبوردو وغيرها، كانت تمثل الحضارة والثقافة التي طالما وضعت نفسها في مكانة الند بالنسبة للثقافة والحضارة الإنجليزية.

التنافس بين الفرنسيين والإنجليز كان محتدمًا وتاريخيًا، في مختلف الميادين والمجالات. لكن روبنسون تحدث عن فرنسا وعن أحداث الرواية التي وقعت في فرنسا، بلا حساسية تذكر وبلا تعصب، وإنما تحدث عنها بأريحية تامة وهدوء.

فرنسا وكل ما يمت إليها بصلة من مناطق ومقاطعات ومدن، جميعها تمثل الثقافة الأوروبية البيضاء ذات المزايا الفرنكية والبحر متوسطية، والمسيحية الكاثوليكية، والسلالة القوقازية، وأشياء أخرى غير ذلك.

الكولونيالية الإنجليزية والكولونيالية الفرنسية، كل منهما بسطت سيطرتها على أجزاء هائلة من رقعة العالم. ففي ذلك المجال تنافست كلتا الدولتين أو الإمبراطوريتين، وسعت كل منهما إلى تعزيز هيمنة ونفوذ ثقافتها الخاصة، على حساب الثقافة الأخرى المنافسة.

لكن ديفو في سائر أحداث الرواية لم يتطرق مطلقًا إلى المستعمرات الفرنسية، مركزًا اهتمامه على فرنسا الدولة فحسب. على العكس تمامًا من ذلك، أعطى ديفو اهتمامًا أكبر في روايته لكل من أسبانيا والبرتغال بجانب إنجلترا. فقد ركزت أحداث الرواية كثيرًا على الدولتين الأسبانية والبرتغالية، وعلى الكولونياليتين الأسبانية والبرتغالية ما وراء البحار، على حد سواء.

أسبانيا والبرتغال، والمدن والمناطق الأسبانية والبرتغالية بداخلهما، ترمز جميعها إلى الثقافة الأوروبية البيضاء، والبيئة الأيبيرية الهسبانية، والمسيحية الكاثوليكية، والسلالة القوقازية، وأشياء أخرى غير ذلك.

خالط روبنسون في أحداث الرواية، الكثير من الشخصيات الأسبانية والبرتغالية. وكي لا ننسى فإن أمريكا اللاتينية التي صال روبنسون وجال فيها، كانت في أيامه وفي عهده، تابعة إداريًا لكل من أسبانيا والبرتغال. وبالتالي تعرف روبنسون خلال مغامراته الأمريكية، على كثير من جوانب الثقافات الأسبانية والبرتغالية، وتعلم بعضًا من مفردات اللغتين الأسبانية والبرتغالية.

كانت البرتغال وكان البرتغاليين فألًا حسنًا على روبنسون. فالقبطان البرتغالي هو الذي نشل روبنسون من المعاناة، ومد له يد المساعدة في مناسبات عديدة. ومن خلال رحلته إلى البرتغال، استعاد روبنسون أمواله التي كانت في حكم الضائعة في البرازيل. وإن كان بدرجة أقل، كانت أسبانيا وكان الأسبانيين أيضًا، فألًا حسنًا على روبنسون. فالأدوات والمنافع التي جلبها روبنسون من حطام السفينة الأسبانية، خدمته كثيرًا في حياته على أرض الجزيرة. والرجل الأسباني الذي جاء في نهاية الرواية إلى الجزيرة، خفف كثيرًا من وحدة روبنسون ويأسه وقنوطه.

جزر الكناري تتبع الدولة الأسبانية، لكنها جغرافيًا تقع خارج نطاق يابسة شبه الجزيرة الأيبيرية. وبحكم وقوع هذه الجزر في مياه الأطلسي وبالقرب من الساحل الأفريقي، نجد مجتمع هذه الجزر يتميز ببعض السمات الثقافية الخاصة والفارقة عن المجتمعات الأم في أسبانيا.

أما عن رمزية جزر الكناري بالنسبة لروبنسون، فقد كانت قمة جبل تنريف (أعلى جبال جزر الكناري وأسبانيا عمومًا)، تمثل أفق الحرية والخلاص الذي ينشده روبنسون ويتمناه، وسراب النجاة الذي يلهث وراءه دون أن يدركه.

كما ذكرنا من قبل، لم يذكر روبنسون اسمًا واضحًا للجزيرة التي انعزل فيها عن العالم لمدة ثمانية وعشرين عامًا. وبالتالي لا يمكننا من خلال مسميات الجزر المتداولة في الجغرافيا الحديثة، أن نستنتج أو نحدد اسمًا بعينه لهذه الجزيرة.

لكن الجزيرة على أية حال وبحسب وصف روبنسون، تقع إلى الشمال قليلًا من ساحل غويانا أو فنزويلا، أي على مشارف البحر الكاريبي من جهته الجنوبية الشرقية. وكي لا ننسى، ذكر روبنسون أن الجزيرة، لا تبتعد كثيرًا عن ما هو متعارف عليه اليوم بدولة ترينيداد وتوباغو.

عندما لجأ روبنسون إلى شواطئ الجزيرة، وجدها قليلة المساحة، وغير مأهولة بالسكان. فعانى روبنسون في بداية عيشه فوق أرض الجزيرة أشد معاناة.

في بادئ معيشته على أرض الجزيرة، كانت الجزيرة توحي إلى روبنسون بالغموض والمشقة واستحالة البقاء. لكن مع استكشافاته المتكررة للجزيرة، وتعرفه بأثر ذلك على مواردها ومقدراتها. تمكن روبنسون من تدجين الجزيرة واستئناسها. فأخذ غموض الجزيرة ومشقة العيش فوق أرضها، يزولان تدريجيًا.

الانعزال والوحدة فوق أرض الجزيرة هذبا سلوك روبنسون كثيرًا، وعلماه الصبر والحكمة. فتاب عن خطاياه السابقة، وصار أكثر تدينًا عن ذي قبل.

الجزيرة في البداية كانت توحي لروبنسون بالوحدة والخوف والذعر والاكتئاب والملل. لكن بعد نجاح روبنسون في تدجين واستئناس الحياة على أرض الجزيرة. وبعد قطعه لدابر المتوحشين آكلي لحوم البشر. وبعد نجاحه في جلب بعض الأدوات والإمكانات من حطام السفينتين المنكوبتين. وبعد نجاحه في استقطاب سكان جدد، يدبوا بأقدامهم فوق أرض الجزيرة. كسر روبنسون وحدته، وصار بجواره من يشاركونه الحياة على أرض الجزيرة. وبذلك بدأ روبنسون يتخلص من الوحدة والملل والخوف والذعر. وصار اجتماعيًا، آمنًا مستقرًا، و مطمئنًا. فلم تعد الجزيرة تعني لروبنسون ما كانت تعنيه له من قبل.

البرازيل كدولة، وسائر المناطق البرازيلية التي وردت في الرواية، كمدينة سلفادور، وخليج جميع القديسين، وجزر فرناندو دي نورونها. جميعها ترمز إلى العالم المكتشف حديثًا، والكولونيالية البرتغالية، والمسيحية الكاثوليكية، والخليط الإثني ألفسيفسائي المعقد، وأشياء أخرى غير ذلك.

مكث روبنسون عدة سنوات في البرازيل، تعلم فيها الكثير من ثقافة وعادات المجتمع البرازيلي في ذلك العصر. ومن ثم ذهب روبنسون ليقضي ثمانية وعشرين عامًا من عمره، في جزيرته الكاريبية المنعزلة، والتي لا تبتعد كثيرًا عن الساحل الشمالي للبرازيل.

البرازيل آنذاك كانت كما القارة الأم أمريكا. كانت بالنسبة للكثير من الأوروبيين تمثل الخير والأمل والحلم الجميل. وفي المقابل، تحدثنا فيما سبق عن نظرة سكان أمريكا الأصليين، إلى المهاجرين الأوروبيين.

دولة المغرب، ومدينة سلا بالتحديد، تحملان ذكريات أليمة لروبنسون في هذه الرواية. ففي مدينة سلا الواقعة على الساحل المغربي، قضى روبنسون سنتين من عمره أسيرًا للعبودية، قبل أن يحرر نفسه ويفر نحو الجنوب.

دولة المغرب ومدينة سلا تحديدًا تمثلان الهوية والأصول العربية والبربرية، والثقافة الشرقية، والديانة الإسلامية، والسلالة القوقازية، والنطاق الشمال أفريقي، وأشياء أخرى غير ذلك. وإلى حد كبير تتشابه موريتانيا (أشار إليها روبنسون في الرواية) مع المغرب وسلا، في كثير من الصفات والمزايا سالفة الذكر.

غينيا والسنغال في أحداث هذه الرواية، تمثلان الثقافة الأفريقية السوداء، والسلالة الزنجية، والطبيعة البدائية المتخلفة، ونطاق غرب أفريقيا، وأشياء أخرى غير ذلك.

كانت غينيا تمثل الخير بالنسبة لروبنسون في البداية، وخصوصًا عندما ذهب إليها تاجرًا وعاد منها رابحًا. لكن بعد الرحلتين البحريتين المنكوبتين، صارت غينيا تمثل لروبنسون فألًا سيئًا. أما السنغال فقد كانت بمثابة العلامة أو المنارة، التي أراد روبنسون أن يصل إليها ويهتدي بها، كي يبحر من ناحيتها باتجاه منطقة جزر الرأس الأخضر.

جزر الرأس الأخضر كانت بمثابة طوق النجاة، الذي كان روبنسون يبحث عنه بشغف في عرض المحيط. كي يهتدي من خلاله إلى ظهر سفينة، تقله على متنها، وتنشله من تشرده وتيهه في مياه المحيط.

ساحل أفريقيا، والساحل البربري، وساحل الكاريبي. ثلاثتها تجسد شيئًا من الرعب والخوف الذي عاشه روبنسون، في كثير من أحداث هذه الرواية وأماكنها. هذه السواحل الثلاثة، كانت ترمز إلى الغموض والخوف والرعب، ليس عند روبنسون وحده فحسب، بل عند كثير من الأوروبيين الذين عاشوا حقبة روبنسون وزمانه.

في أحداث الرواية، نجد أن الكثير من القبائل الأفريقية البدائية، والكثير من الحيوانات الفتاكة المفترسة، كانت تنتشر على طول امتداد ساحل أفريقيا الغربي. أما الساحل البربري فقد كان رمزًا للهلاك والضياع عند كثير من الأوروبيين وليس روبنسون فحسب. حيث كان القراصنة المرابطين على الساحل البربري، يقتادون الكثير من السفن والقوارب الأوروبية إلى ساحلهم. فكان الأوروبيين يمتهنوا على أرض الساحل البربري ويعاملوا هناك كعبيد. أما ساحل الكاريبي فقد كان الأكثر غموضًا وإرهابًا ورعبًا. فقد ذكر روبنسون أن الأوروبيين في عهده، كانوا يأخذون في أذهانهم صورة نمطية **Stereotype** عن الساحل الكاريبي، أنه في كثير من أجزائه، يعد موطنًا للمتوحشين آكلي لحوم البشر.

الجزر الإنجليزية كجامايكا وبربادوس، تمثل الكولونيالية الإنجليزية في منطقة البحر الكاريبي. كانت هذه الجزر بمثابة الملاذ الآمن، الذي بحث عنه روبنسون وطاقم سفينته، تلك السفينة التي جرفها المحيط عن مسارها باتجاه غينيا، غربًا نحو الكاريبي. لكن روبنسون فشل في الوصول إلى أي من هذه الجزر. إذ انتهى به المطاف ناجيًا وحيدًا بين رفاقه الصرعى، ومنبوذًا على أرض جزيرة منعزلة ليست ذات سكان. وبالتالي فإن الجزر الإنجليزية هذه، كانت بمثابة السراب الشارد الذي تمنى روبنسون الوصول إليه ولم يدركه، تمامًا كقمة جبل تنريف في جزر الكناري.

جزر الكاريبي وبما فيها جزر ليوارد، كانت تمثل خليطًا معقدًا من الثقافات والإثنيات، التي تتداخل مع بعضها البعض فوق رقع صغيرة وضئيلة من اليابسة. فجزر الكاريبي وحتى يومنا هذا تجمع بين الأوروبيين البيض، والأفارقة الزنوج، والمولاتو Mulatto المولدين، والسكان الأصليين Natives ، وغير ذلك من أنواع المهاجرين. حتى نفوذ الكولونياليات الأوروبية (أسبانيا، إنجلترا، هولندا، فرنسا ... الخ) راح يتداخل بشكل دقيق ومعقد بين هذه الجزر، التي تقع على مقربة شديدة من بعضها البعض.

تقريبًا كل جزر الكاريبي المأهولة بالسكان، كانت تابعة لنفوذ الكولونياليات الأوروبية، لذلك كان روبنسون في الرواية يطلق على هذه الجزر (المستعمرات المسيحية). وبلا شك فإن المستعمرات الأوروبية أو المسيحية، كانت تمثل فأل خير عند روبنسون. إذ كان يتمنى طوال سنين عزلته لو كان بإمكانه الوصول إلى أحد هذه الجزر، فيحقق بذلك النجاة وكسر العزلة.

وفي المقابل كانت جزر الكاريبي الغير مأهولة بالسكان، تمثل فألًا سيئًا ونذير شؤم عند روبنسون، لما تتضمنه مثل هذه الجزر من غموض وأهوال ومخاطر.

ترينيداد، وغويانا، وساحل فنزويلا (رغم أن روبنسون لم يذكر فنزويلا في الرواية). كانت جميع هذه المناطق بالنسبة لروبنسون عبارة عن نقاط أو علامات على الخريطة. إنما يستخدمها ويذكرها، فقط من أجل تحديد موقع جزيرته الكاريبية من محيطها الجغرافي. فقد سبق وأن ذكر روبنسون في أحداث الرواية أن جزيرته تبدو قريبة نوعًا ما من جزيرة ترينيداد. وقد ذكر أيضًا أن جزيرته لا تبتعد كثيرًا، عن ساحل غويانا، ودلتا الأورينوكو (ساحل فنزويلا).

بيونس ايرس، وهافانا، وسانتا مارتا. جميعها مدن، تقع في بلدان مختلفة من قارة أمريكا اللاتينية. المدن الثلاث ترمز إلى العالم الجديد، والكولونيالية الأسبانية، والثقافة اللاتينية الهسبانية، والمسيحية الكاثوليكية، والخليط الإثني ألفسيفسائي المعقد، الذي تحدثنا عنه عند حديثنا عن البرازيل والكاريبي.

هذه المدن الثلاث، لم تكن تعني أو تمثل الشيء الكثير لروبنسون، إذ لم تشارك ثلاثتها بشكل فعال ومؤثر في أحداث الرواية.

خور ريو دي لا بلاتا وخليج المكسيك، هما جسمين مائيين يقعان ضمن نطاق قارة أمريكا اللاتينية. خور ريو دي لا بلاتا ينتمي بأكمله لأمريكا اللاتينية، إذ يعتبر فجوة مائية بين مستعمرتين أسبانيتين في عهد روبنسون، هما الأرجنتين وأوروغواي. أما خليج المكسيك فكان وما زال في أغلبه، ينتمي إلى قارة أمريكا اللاتينية. ينطبق على السواحل اللاتينية التي تشرف على هذين الجسمين المائيين، ما ينطبق على المدن الثلاث سالفة الذكر. فهذين الجسمين المائيين لا يمثلان الكثير لروبنسون، فهما كالمدن الثلاث سالفة الذكر، من حيث عدم المشاركة بفعالية وقوة في أحداث الرواية.

بالنسبة لروبنسون، كانت جبال البرانس ترمز إلى الوعورة والمشقة والهلاك والخطورة. فهي إطلاقًا لم تحمل له سوى الذكريات الأليمة. فقد واجه روبنسون ورفاقه في السفر مخاطر وكوارث وأهوال جمة، وذلك أثناء عبورهم لتلك الجبال.

جبال البرانس تفصل بريًا بين فرنسا وأسبانيا، أما خليج البسكاي فيفصل بحريًا بين السواحل الفرنسية والسواحل الأسبانية. لم يخُض روبنسون في خليج البسكاي ولم يسافر فيه كما سافر في جبال البرانس. فقد كان روبنسون يخشى، أن يكون على موعد جديد مع سوء حظه البحري، والذي يتمثل عادة في كوارث السفن وهجمات القراصنة.

دولة ألمانيا ومدينة بريمن تمثلان العالم القديم، والثقافة الأوروبية البيضاء، والسلالة القوقازية النوردية، والخليط ما بين البروتستانتية والكاثوليكية، وأشياء أخرى غير ذلك. أي من أحداث الرواية لم يقع في ألمانيا أو بريمن، لكن روبنسون كما ذكرنا من قبل، اكتفى بذكرهما فحسب. ذكر روبنسون أماكن أخرى، لم يكن لها فعالية أو تأثير حقيقي في أحداث الرواية كالهند، ومصر، والقدس.

الهند ترمز إلى العالم القديم، والثقافة الشرقية الآسيوية، والوثنية الهندوسية، وغير ذلك. أما مصر والقدس فترمزان في عهد روبنسون وفيما بعد ذلك أيضًا، إلى العالم القديم، والتاريخ البشري والحضاري العريق، والثقافة الشرقية العربية، والديانة الإسلامية، والسلالة القوقازية، ونطاق البحر المتوسط ، والكولونيالية العثمانية، وأشياء أخرى. هذا مع أن روبنسون قصد الحديث عن مصر والقدس، في حقبتي النبي سليمان وصراع فرعون مع بني إسرائيل. أي ما قبل الميلاد بكثير.

- الصفات الجغرافية.

١) سفينة القراصنة العثمانيين Turkish rover of Sallee:

كان على متنها القراصنة العثمانيين، اللذين هاجموا سفينة روبنسون قبالة السواحل المغربية. وبأثر ذلك أسر روبنسون، وصار عبدًا عند سيده العثماني في سلا.

٢) محارب أسباني - محارب برتغالي Spanish or Portugal man-of war:

كان روبنسون يأمل لو يأخذه سيده التركي معه إلى المحيط. عل سيده يقابل في مياه المحيط محاربًا أسبانيًا أو برتغاليًا، فيأسره ذلك المحارب ويحرر روبنسون.

٣) رجل إنجليزي- رجل أيرلندي- رجل اسكتلندي English- man، Irishman، or Scotchman :

شعر روبنسون بالحزن والحسرة، وذلك عندما لم يجد ولو رجلًا إنجليزيًا، أو رجلًا أيرلنديًا، أو حتى رجلًا اسكتلنديًا، ضمن عديد زملائه المأسورين معه في العبودية.

كم كان روبنسون يتمنى لو كان برفقته في العبودية (في منزل سيده)، رجلًا إنجليزيًا، أو أيرلنديًا، أو حتى اسكتلنديًا، كي يؤنس وحدته في الوسط الثقافي المغاير والمختلف تمامًا عنه. وكي يكون له عونًا ونصيرًا، يساعده في إتمام مهمة الفرار من العبودية.

٤) سفينة إنجليزية English ship:

هي السفينة الإنجليزية التي استولى عليها القراصنة العثمانيين في عرض المحيط. إذًا هي ذات السفينة التي كان على متنها روبنسون، عندما جرى اعتقاله واقتياده إلى الساحل المغربي، ومن ثم جرى استعباده هناك لمدة عامين. أما السفينة التي عاد روبنسون على متنها من جزيرته المنعزلة إلى إنجلترا، فقد كانت أيضًا سفينة إنجليزية.

٥) عبد إنجليزي English slave:

عبد إنجليزي !!. نعم لقد كان روبنسون عبدًا ولمدة عامين كاملين، عند سيده التركي أو العثماني، في مدينة سلا.

٦) أمم الزنوج Nations of Negroes:

الأمم الزنجية التي تحدث عنها روبنسون وذكرها في هذه الرواية، هي أمم الأفارقة الزنوج، الذين يسكنون الساحل الغربي لأفريقيا بالتحديد.

٧) سفينة أوروبية European ship:

أثناء رحلة هروبه من العبودية وفراره نحو الجنوب، كان روبنسون يأمل في الوصول إلى المنطقة، التي تتواجد فيها جزر الرأس الأخضر، عله يقابل سفينة أوروبية في تلك المنطقة. فمنطقة جزر الرأس الأخضر ومياه المحيط المحيطة بها، كانت ممرًا للكثير من السفن الأوروبية المتجهة إلى أمريكا اللاتينية، أو الهند وجنوب آسيا آنذاك.

٨) سفينة برتغالية Portuguese ship:

بعد هروب روبنسون من العبودية وبرفقته كزوري، قابلتهما السفينة البرتغالية في مياه الأطلسي، فحملتهما إلى البرازيل. لقد كانت السفينة البرتغالية بمثابة طوق النجاة الذي أنقذ روبنسون. وبفضل السفينة البرتغالية انتقل روبنسون من العالم القديم، إلى العالم الجديد بقاراته ويابسته المكتشفة حديثًا.

٩) بحار اسكتلندي Scotch sailor:

كان بحارًا من ضمن طاقم السفينة البرتغالية سالفة الذكر. وهو الوحيد من بين أفراد الطاقم، الذي تمكن من محاورة روبنسون بسهولة ويسر، وذلك بحكم إجادته للغة الإنجليزية، فهي اللغة التي لم يكن روبنسون ليجيد سواها آنذاك.

١٠) قارب أوروبي European boat:

عندما انتبه البحارة على ظهر السفينة البرتغالية، إلى قارب روبنسون وهو يقترب من سفينتهم. اعتقدوا أن قارب روبنسون، ربما يكون قارب أوروبي يخص سفينة أوروبية، غرقت أو فقدت في مكان ما من المحيط.

١١) اللغة البرتغالية- الأسبانية- الفرنسية Portuguese، Spanish، French:

عندما صعد روبنسون إلى ظهر السفينة البرتغالية، أراد البحارة أن يسألوه عن هويته وقصته كذلك. فسألوه بالبرتغالية، ثم بالأسبانية، ثم بالفرنسية، قبل أن يسألوه بالإنجليزية فيجيبهم بها.

١٢) رجل إنجليزي Englishman:

عندما قام البحار الاسكتلندي الذي يعمل ضمن طاقم السفينة البرتغالية، بسؤال روبنسون عن هويته، أجابه روبنسون: (أنا رجل إنجليزي، هربت من عبوديتي في سلا).

١٣) والدين إنجليزيين English parents:

جار روبنسون في البرازيل، كان رجلًا برتغاليًا اسمه والز، والغريب في الأمر هو أن والدي والز وبحسب رواية روبنسون، كانا إنجليزيين.

١٤) بضاعة إنجليزية English goods:

هي البضاعة إنجليزية الصنع التي حملها القبطان البرتغالي من لشبونة، إلى روبنسون في البرازيل. وذلك بعد أن قام تاجر إنجليزي بشرائها من إنجلترا، وإرسالها إلى القبطان في لشبونة.

١٥) عبد زنجي- خادم أوروبي Negro slave، European servant:

بالإضافة إلى الخادم الذي جلبه القبطان البرتغالي لروبنسون من لشبونة. قام روبنسون بشراء عبد زنجي وخادم أوروبي آخر، كي يساعدانه في أعمال مزارعه.

١٦) الجبن الهولندية Dutch cheeses:

بعد نجاة روبنسون من حادثة تحطم السفينة، وبعد اهتدائه إلى شاطئ الجزيرة النائية. ركب روبنسون طوافته وذهب إلى موقع السفينة المنكوبة، فنشل من داخلها العديد من الأشياء النافعة، كالجبن الهولندية، وغيرها من صنوف الطعام.

١٧) نقود أوروبية- نقود برازيلية Some European coin، some Brazil:

عندما ذهب روبنسون في مرة أخرى إلى موقع السفينة المنكوبة، جلب منها العديد من الأشياء والأدوات النافعة، كما جلب منها بعض النقود الأوروبية والبرازيلية. ومما لا شك فيه، أن تلك النقود وفي ذلك الوقت تحديدًا، لم تكن ذات قيمة إطلاقًا بالنسبة لروبنسون.

١٨) كتب برتغالية Portuguese books:

بعد خوضه العديد من الرحلات إلى موقع السفينة المنكوبة، وبعد جلبه الكثير من اللوازم والأشياء النافعة من هناك. أراد روبنسون أن يصنف هذه اللوازم والأشياء النافعة، بحسب درجة أهميتها وضروريتها له. فصنف المواد الغذائية وغيرها من الأدوات الحياتية الأساسية، على أنها الأشياء الأكثر أهمية وضرورية له. بينما صنف الخرائط، والجداول، وكتب الملاحة، والحبر، والأوراق، والكتب البرتغالية، على أنها أشياء أقل أهمية وضرورية بالنسبة له، وبالنسبة للواقع الصعب الذي يعيشه.

١٩) مغامرة أفريقية African adventure:

في سبيل التغلب على العتمة وإيجاد وسيلة للإنارة، كم تمنى روبنسون لو كان باستطاعته أن يصنع مصابيح من شمع عسل النحل، كما كان يفعل وهو في مغامرته الأفريقية. لكن مادة الشمع غير متوفرة على أرض الجزيرة. مما دفع روبنسون إلى استخدام دهن الأغنام المجفف، بدلًا منها في صناعة المصابيح.

٢٠) شعير إنجليزي English barley:

عندما نما بعض الشعير، بجوار مسكن روبنسون على أرض الجزيرة، قال عنه روبنسون أنه يشبه إلى حد كبير الشعير الإنجليزي.

٢١) لحم خنزير برازيلي Brazil pork:

بعثت السفينة المنكوبة ببعض من أجزاء حطامها إلى الشاطئ، ومع ذلك الحطام وصل روبنسون البعض من لحم الخنزير البرازيلي. لكن ذلك اللحم لم يكن صالحًا للأكل، ولم يكن ذات قيمة، وذلك بسبب اختلاطه بماء البحر والرمل.

٢٢) رجال إنجليز English-men:

خلال تجوال روبنسون في أرجاء الجزيرة واستكشافه لها، وجد كم هائل وكبير جدًا من ثمار العنب الناضجة. فراودته فكرة جني العنب، وإمكانية الاعتماد عليه كأحد مصادر غذائه الرئيسية. لكنه خاف من أن يلقى نفس مصير الرجال الإنجليز، الذين تسمموا وماتوا من قبل، وذلك بفعل أكلهم نوع غريب من العنب كهذا.

٢٣) البرازيليين Brazilians:

تحدث روبنسون عن البرازيليين، عندما تحطمت حالته النفسية، وأصابه نكد حاد وهو على أرض الجزيرة. حينها ذكر روبنسون أن البرازيليين لا يتعاطون علاجًا لحالتهم النفسية السيئة ونكدهم، سوى القليل من التبغ. أي أن التبغ يحسن المزاج عند البرازيليين.

وتحدث روبنسون عن البرازيليين في مناسبة أخرى. وذلك عندما قال أن لون بشرة فرايدي، لا يشبه لون بشرة البرازيليين، أو الفرجينيين، أو غيرهم من السكان الأمريكيين الأصليين.

٢٤) قطط أوروبية European cats:

تطرق روبنسون إلى ذكر القطط الأوروبية، وذلك عندما تحدث عن أحد القطط الموجودة على أرض جزيرته. إذ قال حينها عن تلك القطة، أنها تنتمي إلى نوع شاذ ومختلف تمامًا عن القطط الأوروبية.

٢٥) مناطق السيادة الأسبانية- الساحل الأسباني- الدولة الأسبانية، Spanish coast، Spanish dominions Spanish country:

وردت جميع هذه الصفات الجغرافية في أحداث الرواية، عندما كان روبنسون يضع الفرضيات والاحتمالات المختلفة. وذلك من أجل محاولة تفسير وتحري هوية اليابسة، التي أبصرها روبنسون من على شاطئ جزيرته.

٢٦) أسود ونمور أفريقيا Lions and Tigers of Africa:

في إطار عملية تقييمه وتقديره لمدى خطورة المتوحشين آكلي لحوم البشر، على حياته وسلامته. كان روبنسون يعتقد اعتقادًا جازمًا، أن خطورة أسود ونمور أفريقيا، لا تساوي شيئًا، مقارنة مع خطورة المتوحشين آكلي لحوم البشر.

٢٧) الأوروبيين Europeans:

كان روبنسون يخشى أن يقع فريسة للمتوحشين آكلي لحوم البشر، فينتهي بذلك مصيره إما إلى الأسر أو إلى القتل. فقد حدث ذلك مع الكثير من الأوروبيين الذين أسروا أو لقوا حتفهم، على أيدي المتوحشين ساكني الساحل الكاريبي.

٢٨) الأتراك- المغاربة Turks، Moors:

تحدث روبنسون في موضع ما من الرواية عن لحيته كيف كانت طويلة جدًا، ومن ثم كيف صارت مشذبة ومنسقة. تطرق روبنسون بالذكر إلى الأتراك والمغاربة في هذه الرواية، وذلك عندما أخذ يقارن لحيته وشاربه بلحى وشوارب الأتراك والمغاربة.

٢٩) الفلسطينيين Philistines:

ربط روبنسون بين حالته المزرية وحالة شاول، قائلًا: (أنا أبدو مثل شاول، الذي عانى ليس من تسلط الفلسطينيين عليه فحسب، بل أيضًا من غضب الرب عليه).

٣٠) الأسباني- الأسبان Spaniard، Spaniards:

وردت هاتين الصفتين في الكثير من المناسبات. ولعل أبرز هذه المناسبات، عندما تحدث روبنسون عن الممارسات البربرية للأسبان، ضد السكان الأمريكيين الأصليين. وكذلك عندما تحدث روبنسون مع الرجل الأسباني، بشأن إنقاذ وإحضار بقية الرجال الأسبان، العالقين عند القوم الكاريبيين البدائيين.

٣١) أحذية إنجليزية English shoes:

بعدما نشل روبنسون الكثير من النقود، من حطام السفينة الأسبانية الغارقة. قال روبنسون أن كل هذه النقود ليست ذات قيمة إطلاقًا بالنسبة له. وقال أنه مستعد أن يتخلى عنها كلها، مقابل الحصول على ثلاثة أو أربعة أزواج من الأحذية الإنجليزية.

٣٢) سكان أمريكا الأصليين- الفرجينيين Natives of America، Virginians:

عندما راح روبنسون يصف فرايدي، قال في خضم وصفه، أن لون بشرة فرايدي لا يشبه لون بشرة البرازيليين، أو الفرجينيين، أو غيرهم من سكان أمريكا الأصليين.

٣٣) الكاريبيين Caribs- Caribbees:

عندما قام روبنسون بسؤال فرايدي، عن الأمم التي تعيش بجوار جزيرته. أجابه فرايدي أن تلك الأمم جميعها من الكاريبيين.

٣٤) برتغاليين Portuguese:

عندما ذكر فرايدي لروبنسون، أن هناك سبعة عشرة رجل من البيض. لجئوا بقاربهم اضطراريًا إلى ساحل قومه الكاريبيين. توقع روبنسون أن يكون اولئك الرجال من الأسبان والبرتغاليين. وبالفعل كانوا كما توقع روبنسون.

٣٥) أخشاب نيكاراغوا Nicaragua wood:

الشجرة التي وقع عليها اختيار فرايدي، من أجل استخدامها في صناعة القارب، كانت ذات نوع ممتاز جدًا من الخشب. إذ قال روبنسون عن نوعية ذلك الخشب، أنها تشبه إلى حد كبير نوعية أخشاب نيكاراغوا.

٣٦) لغة برتغالية Portuguese tongue:

بعدما قام روبنسون وفرايدي بإنقاذ الرجل الأبيض، من قبضة المتوحشين آكلي لحوم البشر. قام روبنسون بسؤال الرجل عن هويته، سائلًا إياه باللغة البرتغالية. لكن روبنسون عرف فيما بعد أن الرجل كان أسبانيًا وليس برتغاليًا.

٣٧) سفينة أسبانية- بضائع أوروبية- بحارة برتغاليين Spanish ship، European goods، Portuguese seamen:

قال الرجل الأسباني لروبنسون، أنه كان برفقة زملائه على متن سفينة أسبانية، كانت متوجهة من ريو دي لا بلاتا إلى هافانا. وذكر الرجل أن السفينة كانت محملة بكميات من الفضة وجلود المواشي، على أن تعود من هافانا بكميات من البضائع الأوروبية التي يمكن جلبها من هناك. وذكر الرجل الأسباني لروبنسون أيضًا، أن سفينتهم كان على متنها خمسة بحارة برتغاليين.

٣٨) قارب إنجليزي طويل English long-boat:

مع اقتراب نهاية أحداث الرواية، رصد روبنسون رسو قارب إنجليزي طويل على شاطئ الجزيرة. وقد كان هذا القارب يقل مجموعة من المتمردين وبرفقتهم ثلاثة أسرى. وكان من بين الأسرى، قبطان السفينة الإنجليزية المخلوع.

٣٩) هولنديين Dutch:

عندما رسا القارب الطويل على شاطئ الجزيرة، وترجل منه الرجال (المتمردين)، ومشوا على أرض الجزيرة، توقع روبنسون أن بعض هؤلاء الرجال ربما يكونوا هولنديين.

٤٠) خمر ماديرا Madeira wine:

بعدما استعاد القبطان الإنجليزي سفينته المختطفة، من قبضة المتمردين. جاء القبطان لروبنسون بالعديد من الهدايا كعرفان بالجميل. وكان من ضمن هذه الهدايا، ست قوارير كبيرة الحجم من خمر ماديرا. وبالمناسبة ماديرا هي أرخبيل من الجزر الأطلسية، لا تبتعد كثيرًا عن جزر الكناري، وما زالت تتبع البرتغال إلى يومنا هذا.

٤١) حرير إيطالي- جوخ إنجليزي Italian silks، English broadcloth:

أرسل روبنسون هدايا قيمة إلى شريكه الأسبق في البرازيل، وكان من ضمن هذه الهدايا، بعض الحرير الإيطالي وقطعتين من الجوخ الإنجليزي.

٤٢) قراصنة جزائريين Algerines:

عندما تحدث روبنسون عن خوفه من فكرة الإبحار، من البرتغال إلى إنجلترا. ذكر روبنسون قصة سفينتين منكوبتين، فقدت إحداهما بالقرب من منطقة توربای، أما الأخرى فقد استولى عليها القراصنة الجزائريين.

٤٣) سيد إنجليزي- تجار إنجليز- سادة برتغاليون- بحار إنجليزي ،English merchants،English gentleman Portuguese gentlemen، English sailor:

هذه الصفات الجغرافية، جميعها تعود لأشخاص، سافروا مع روبنسون ورافقوه في رحلته البرية. والتي انطلقت من البرتغال إلى إنجلترا، مرورًا بالبابستين الأسبانية والفرنسية.

٤٤) سادة فرنسيين French gentlemen:

عندما كان روبنسون ورفاقه في السفر في رحلتهم البرية. وتحديدًا عندما كانوا متجهين من شمال أسبانيا إلى جنوب فرنسا، قابلوا في طريقهم أربعة رجال فرنسيين، كانوا قادمين إلى الأراضي الأسبانية.

٤٥) قبطان إنجليزي English captain:

ذهب روبنسون إلى رحلة غينيا برفقة قبطان إنجليزي. وعاد روبنسون من جزيرته الكاريبية إلى إنجلترا، برفقة قبطان إنجليزي أيضًا.

٤٦) اللغة الإنجليزية English:

هي لغة روبنسون الرسمية. وهي اللغة التي تعلمها فرايدي. وهي اللغة التي تحدث وتحاور بها روبنسون مع والديه، والقبطان الإنجليزي، وغيرهم من الشخصيات.

٤٧) غلال غينية وعاج غيني Guinea grains، elephant teeth:

قال روبنسون للتجار البرازيليين، أنه بإمكانهم بيع الحلوى والألعاب والسكاكين والمقصات والفراش للغينيين، ليس مقابل مسحوق الذهب فحسب، وإنما أيضًا مقابل بعض الغلال وقطع العاج الغينية.

٤٨) تاجر غينيا- سفن البرازيل- هنود البيرو Guinea trader، Brazil ships، Indians of Peru:

وردت هذه الصفات الجغرافية، في مواضع مختلفة من أحداث الرواية.

كانت أحداث الرواية غنية وممتلئة بالصفات الجغرافية، وإذا ما أردنا أن نصنف الصفات الجغرافية التي وردت في أحداث الرواية، نجد أن معظمها كانت بشأن وظائف وألقاب أشخاص، بشأن أمم وشعوب، سفن وقوارب، لغات، بضائع وأدوات، مواد غذائية، حيوانات.

وكما نعلم، فإن الصفات الجغرافية هي في الأصل عبارة عن صفات ذات مدلول جغرافي، أي عبارة عن (جنسيات). وإذا ما نظرنا بشيء من التحليل والتدقيق إلى سائر الصفات الجغرافية الواردة في الرواية، نجد أن الصفات الإنجليزية تمثل العدد الأكبر من بين صفات الرواية، ومن ثم تأتي الصفات الأسبانية، والبرتغالية. ومن ثم تأتي صفات أقل عددًا وكثافة كالصفات الفرنسية، والبرازيلية، والتركية، والاسكتلندية، والهولندية، والأفريقية، وغير ذلك.

(عبد إنجليزي) كانت هي الصفة الجغرافية الوحيدة في الرواية، التي جاءت مخالفة لطبيعة وصورة الإنجليز، والتي أراد ديفو أن يروج لها من خلال الرواية. ربما هذه الصفة تحمل نوع من الامتهان للإنسان الإنجليزي المتقدم والراقي بطبعه. لكن ربما أراد ديفو أن يؤكد على أن الإنسان الإنجليزي غير يوطوبي، وأنه كغيره من البشر، فقد تضعه ظروف معينة في موقف الضحية والمظلوم والعاجز.

أما إذا ما نظرنا إلى بقية الصفات الجغرافية التي تصف الإنسان الإنجليزي، مثل سيد إنجليزي، بحار إنجليزي، رجل إنجليزي، والدين إنجليزيين، وغير ذلك. نجد أن هذه الصفات جميعها تروج للهوية الإنجليزية، والسيادة والثقافة الإنجليزية، وتحاول التأكيد على ريادة الإنسان الإنجليزي وسمو عرقه ونوعه. كما وتحاول التأكيد على دور الإنسان الإنجليزي الكبير في الكولونيالية الغربية، أو الكولونيالية المسيحية كما أسماها روبنسون في الرواية.

باقي الصفات الإنجليزية، والتي بدورها تصف البضائع والأدوات وما هو نحو ذلك، مثل جوخ إنجليزي، أحذية إنجليزية، قارب إنجليزي طويل، وغير ذلك. هي جميعها صفات جاءت في سياق الرواية، كي تروج للجودة الفائقة آنذاك للمنتج الإنجليزي والسلعة الإنجليزية. ما نفهمه هنا إجمالًا، هو أن ديفو كان يحاول التأكيد على تفوق وريادة وتميز كل ما هو إنجليزي. أي كل ما يمت إلى إنجلترا بصلة، من إنسان وجوامد وثقافة، وغير ذلك.

زج ديفو بالكثير من الصفات الأسبانية والبرتغالية في الرواية، لأن كثير من أحداث الرواية وقعت كما نعلم في أماكن متفرقة من قارة أمريكا اللاتينية. وأمريكا اللاتينية في عصر روبنسون كانت كما نعلم خاضعة في أغلب أرجائها للاستعمارين الأسباني والبرتغالي. إذ كانت البرازيل وقتها تتبع للكولونيالية البرتغالية، وباقي القارة تقريبًا كان يتبع الكولونيالية الأسبانية.

محارب أسباني، الأسبان، سفينة أسبانية، سادة برتغاليون، بحارة برتغاليين، كتب برتغالية. هذه هي بعض الصفات الأسبانية والبرتغالية التي جاءت في أحداث الرواية. وقد كانت هذه الصفات في مجملها تشير إلى الكولونياليتين الأسبانية والبرتغالية، ونفوذهما وهيمنتهما شبه المطلقة على قارة أمريكا اللاتينية.

كما أن بعض هذه الصفات، مثل (سفينة برتغالية، سفينة أسبانية، بحارة برتغاليين)، نجدها تتعلق بركوب البحر والإبحار. كيف لا والأيبيريين هم من رواد العالم في ركوب البحر. فالفضل يعود لهم كما ذكرنا من قبل، في كثير من الكشوف والفتوحات الجغرافية.

في كثير من الأحيان كان روبنسون يستخدم صفة (أوروبي)، بدلًا من أن يخوض في التفاصيل أكثر، أي بدلًا من أن ينسب الصفة إلى دولة بعينها داخل قارة أوروبا. صحيح أن روبنسون ذكر في أحداث الرواية صفات إنجليزية، وبرتغالية، وأسبانية، وفرنسية، وغير ذلك. لكن روبنسون استخدم أيضًا في بعض المواضع من الرواية، صفات تشير إلى قارة أوروبا بأسرها، وليس إلى قطر أوروبي بعينه.

في تقديري، ربما كان روبنسون يستخدم صفة (أوروبي) في بعض الأحيان، لأن نفوذ الكولونياليات الأوروبية كما ذكرت سابقًا، كان يتداخل بشكل دقيق ومعقد في بعض مناطق أمريكا اللاتينية وجزر الكاريبي. لذا ففي بعض المواقف التي يصعب فيها على روبنسون تحديد هوية بعض الأشياء بدقة ووضوح، كان روبنسون يصف تلك الأشياء بصفة (أوروبي)، تخفيفًا للجهد وتيسيرًا للمسألة.

جميع الصفات الأوروبية الواردة في الرواية، تشير بالتأكيد إلى أشخاص، وبضائع، وأدوات، وغلال، وحيوانات أوروبية. والشيء الوحيد الذي ترمز له سائر هذه الصفات، هو الهيمنة الأوروبية على أمريكا اللاتينية والعالم الجديد. أي الكولونيالية الأوروبية، أو الكولونيالية المسيحية، كما أسماها روبنسون في موضع ما من الرواية.

(هولنديين، الجبن الهولندية) هما صفتين هولنديتين ذكرهما روبنسون في أحداث الرواية. كان لا مفر لديفو من إقحام بعض الصفات الهولندية في روايته. وذلك كون الغالبية العظمى من أحداث الرواية دارت في منطقة أمريكا اللاتينية والكاريبي. نقول لا مفر لديفو من ذكر هولندا والهولنديين في هذه الرواية، لأن الهولنديين كانوا أصحاب نفوذ واضح في منطقة أمريكا اللاتينية والكاريبي. فقد كانت هولندا من أولى الدول الأوروبية الرائدة في ركوب البحر، إذ كانت تنافس أسبانيا والبرتغال وبقوة في ذلك المجال. إذ تعد هولندا أحد أقدم القوى الاستعمارية الأوروبية، وقد كانت لها مستعمراتها المنتشرة في شتى أطراف الأرض. باختصار شديد يمكننا القول، أن ذكر هولندا فرض نفسه على ديفو في هذه الرواية، وذلك نظرًا لقوة الكولونيالية الهولندية وتأثيرها، ونفوذها الذي لا يستهان به في منطقة أمريكا اللاتينية والكاريبي.

جاء ذكر روبنسون للعديد من الصفات الاسكتلندية والأيرلندية في هذه الرواية، بحكم أن ثمة علاقة وثيقة، نعرفها جميعًا بين إنجلترا وكل من اسكتلندا وأيرلندا. فما إنجلترا واسكتلندا وأيرلندا إلا جيران متجاورين في الجزر البريطانية. وتربط ثلاثتها ثقافات متشابهة إلى حد ما، فضلًا عن

العامل المشترك الأهم، ألا وهو اللغة الإنجليزية. وبالفعل لقد استنتجنا من خلال الرواية، أن اسكتلندا وأيرلندا تعدان أقرب لروبنسون وعامة الإنجليز، من بقية البلاد الأوروبية.

(البرازيليين)، صفة جغرافية تشير إلى أحد أهم شعوب العالم الجديد، وأمريكا اللاتينية تحديدًا. وقد تحدثنا فيما سلف عن التنوع والتداخل الإثني والثقافي، والذي يتميز به المجتمع البرازيلي. لقد كان من الرائع أن يشير ديفو في روايته، إلى شعب أو قوم بهكذا مزايا ومواصفات.

وكي لا ننسى، استخدم ديفو صفة (البرازيليين) في موضع ما من الرواية، كي يشير إلى السكان الأصليين للبرازيل.

(سفن البرازيل، لحم خنزير برازيلي)، سفن البرازيل في عهد روبنسون، كانت دومًا محملة بالمنتجات البرازيلية، وكانت دومًا تتجه بحمولاتها شمالًا نحو أوروبا. كانت البرازيل أرض كريمة معطاءة، تفيض بالخير الوفير. فكانت تزود أوروبا وغيرها بالمنتجات المختلفة، من محاصيل، وغلال، ومواشي، ومعادن، وأشياء أخرى كثيرة غير ذلك. لقد صور ديفو البرازيل في هذه الرواية، على أنها أرض الموارد والخيرات والكنوز.

(الأتراك، المغاربة، الفلسطينيين) ثلاثة شعوب أو أقوام شرقية ومتوسطية. تحدث عنها روبنسون في الرواية، كل منها في موضع مختلف. تحدث روبنسون عن الأتراك، تأثرًا بوجود الإمبراطورية العثمانية أو الكولونيالية العثمانية في زمانه. فقد كانت الإمبراطورية العثمانية تنافس البلاد الأوروبية وتتصارع معها في عدة ميادين، والساحل البربري كان أحد هذه الميادين. إذًا تحدث روبنسون عن الأتراك، ليشير إلى الإمبراطورية أو الكولونيالية العثمانية.

تحدث روبنسون عن المغاربة، ليشير إلى الساحل البربري وما يمثله من أهوال في نظر الأوروبيين. إذًا تحدث روبنسون عن المغاربة في موضع ما من الرواية، كي يشير إلى أهوال ومصائب الساحل البربري. فالسواحل المغربية تعتبر جزءًا من ذلك الساحل الطويل، المسمى بالساحل البربري.

تحدث روبنسون عن الفلسطينيين من منظور تاريخي ديني. ليس ليشير إلى فلسطينيي زمانه من العرب المسلمين. بل ليشير إلى الفلسطينيين القدماء الوثنيين، الذين كانت لهم تجارب مع بني إسرائيل، وورد ذكرهم في الكتاب المقدس عند المسيحيين. إذًا فالفلسطينيين الذين تحدث عنهم روبنسون في الرواية، يرمزون إلى الكفر والوثنية.

الصفات الثلاث عمومًا، تعني وتمثل العداء بالنسبة لروبنسون. فالإمبراطورية العثمانية معادية لكثير من البلاد الأوروبية. والمغاربة يقطنون جزء من الساحل البربري المعادي للأوروبيين. أما الفلسطينيين القدماء (الوثنيين)، فهم أعداء الله وأعداء بني إسرائيل (المؤمنين).

(سفينة القراصنة العثمانيين، قراصنة جزائريين) هاتين الصفتين الجغرافيتين وغيرهما في الرواية، تشير إلى مشكلة كبرى، كان العالم يعاني منها وبشدة في عصر روبنسون. ألا وهي مشكلة القرصنة البحرية. وقد بدا اهتمام ديفو الواضح بقضية القرصنة البحرية، في مواضع كثيرة من الرواية.

في تلك القضية، كان تركيز ديفو على الساحل البربري أكثر من غيره من الأماكن. وكأنه أراد أن يؤكد على أن الساحل البربري، هو أكثر مواطن القراصنة، التي كانت تثير هواجس الأوروبيين ومخاوفهم، في عصر روبنسون.

(عبد زنجي)، هذه الصفة الجغرافية، تشير إلى الامتهان والظلم الشديد الذي لاقته سلالة الزنوج على أيدي البيض، سواء في هذه الرواية أو في عصر روبنسون عمومًا. فقد كان الأوروبيون يأخذون الزنوج من أوطانهم، من أجل العمل كعبيد في مزارع العالم الجديد (الأمريكيتين).

(أمم الزنوج) صفة جغرافية تشير إلى أفريقيا، فأفريقيا تاريخيًا تعتبر أصل الزنوج، وموطن الأمم الزنجية قاطبة. وقد تحدث روبنسون في بعض الصفات الجغرافية صراحة عن أفريقيا، مثل(مغامرة أفريقية، أسود ونمور أفريقيا).

كانت أفريقيا بالنسبة لروبنسون ومن وراءه ديفو، تشير وترمز إلى الغموض والأخطار والأهوال. ومما لا شك فيه أن كلاهما عملا على الترويج لأفريقيا في الرواية، على هذا النحو.

مثلما البرازيل هي أرض معطاءة، تفيض بالخيرات الوفيرة والموارد التي لا تنضب. صفة (أخشاب نيكاراغوا) تؤكد على أن أماكن كثيرة من أمريكا اللاتينية، حالها كحال البرازيل، من حيث الغنى بالخيرات والموارد.

مثلما البضائع والمصنوعات الإنجليزية هي مثال للجودة والإتقان والرقي. صفة (حرير إيطالي) تؤكد على أن مصنوعات ومنتجات دول أوروبية أخرى كإيطاليا، تعد أيضًا مثال للجودة والصناعة الراقية.

(اللغة البرتغالية، اللغة الأسبانية، اللغة الإنجليزية، اللغة الفرنسية). هذه اللغات الأربع، هي أهم لغات الكولونيالية الأوروبية. هذه اللغات الأربع، كانت تمثل غزوًا فكريًا وحضاريًا في نظر سكان أمريكا الأصليين. بينما كان انتشار هذه اللغات الاستعمارية على حساب لغات الأمريكيين الأصليين، يمثل نجاحًا للفتح المسيحي لبلاد الوثنية، وازدهارًا للكولونيالية الأوروبية، وذلك في نظر روبنسون، والأوروبيين في زمانه.

كما كان الأفارقة في نظر روبنسون وغيره من الأوروبيين، يرمزون إلى الغموض والتخلف والوحشية. كان (الكاريبيين) كذلك يرمزون إلى ذات المزايا والأوصاف. وهنا بالطبع نقصد السكان الأصليين للكاريبي، وليس المهاجرين الأوروبيين.

(سكان أمريكا الأصليين، هنود البيرو، الفرجينيين). ثلاثتها صفات جغرافية، تشير إلى عموم السكان الأصليين لأمريكا، أيًا كانت أنواعهم. تحدث روبنسون في عدة مواضع من الرواية عن اولئك الأمريكيين الأصليين، لكن موقفه تجاههم لم يكن واضحًا بالقدر الكافي.

ربما تطرق روبنسون في أكثر المواضع وضوحًا، إلى المجازر التي ارتكبها الأسبان في حق الأمريكيين الأصليين. ولم ينصف روبنسون الأمريكيين الأصليين، بل كان تقريبًا مؤيد لممارسات الأسبان، المتمثلة في التطهير العرقي والإبادة الجماعية.

(خمر ماديرا)، هي صفة جغرافية ترمز في هذه الرواية تحديدًا، إلى البهجة والاحتفال. في موضع من الرواية، نجد أن القبطان الإنجليزي قد أهدى روبنسون قوارير من خمر ماديرا. وذلك كنوع من الاحتفال بتحرير السفينة من قبضة المتمردين، واسترجاعها من جديد.

ليس في هذه الرواية فحسب، بل في كثير من جوانب الثقافة الأوروبية والغربية، يأتي استخدام الخمر ضمن طقوس الاحتفال.

- الأحداث الجغرافية.

١) المغامرة الجغرافية:

كما ذكرنا من قبل، تدور أحداث رواية روبنسون كروزو بأسرها، حول مغامرات البطل الأسطوري، والذي يحمل نفس اسم الرواية (روبنسون كروزو). إذ يمكننا تشبيه أحداث الرواية بأنها عبارة عن سلسلة من المغامرات المتعاقبة والمتتالية. فمنذ البداية الأولى لأحداث الرواية وحتى نهايتها، لا يكاد يدرك القارئ للرواية، سوى المغامرات التي قام بها روبنسون.

حبكة الرواية بأسرها كانت تتعلق بمغامرات روبنسون. إذ لم نشهد في الرواية أي مظاهر أو إيحاءات، لوجود حبكات ثانوية **Sub-plots** بشأن مواضيع أو قضايا أخرى. بل كانت أحداث الرواية قاطبة، تسير في ركب واحد، ألا وهو الحديث عن مغامرات روبنسون.

مغامرات روبنسون كروزو، كانت جميعها ذات نزعة ودلالة جغرافية واضحة. فقد اشتملت هذه المغامرات على التنقل والترحال بين أماكن جغرافية متعددة وكثيرة، تحدثنا عنها بل وشرحناها بالتفصيل في تفسير المسميات الجغرافية. بالإضافة إلى ذلك، فقد اشتملت مغامرات

روبنسون كروزو على العديد من الممارسات والأنشطة والعادات الجغرافية، وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل في تفسير وتحليل الأحداث الجغرافية. أي في البنود التالية.

٢) السفر البحري:

اشتملت أحداث الرواية على عدد كبير من الرحلات البحرية. وبالطبع كان روبنسون مشاركًا في الغالبية العظمى من هذه الرحلات. ما يهمنا هنا بالتحديد، هو فقط الرحلات التي شارك فيها روبنسون.

لقد كان المحيط الأطلسي بتفريعاته المختلفة، هو الميدان الذي دارت فوق مياهه، سائر هذه الرحلات البحرية. بعض هذه الرحلات البحرية كانت لمسافات قصيرة، وبعضها كانت لمسافات طويلة جدًا. بعضها كانت تتم بواسطة سفن تجارية عملاقة، وبعضها كانت تتم بواسطة قوارب أو حتى طوافات بسيطة. بعض هذه الرحلات البحرية كانت موفقة وناجحة، وبعضها الآخر كانت على موعد مع النحس والقرصنة وكوارث الطبيعة.

لقد كانت أهم الرحلات البحرية في رواية روبنسون كروزو، على النحو التالي:

- الرحلة البحرية الأولى لروبنسون، كانت مقررة من هل إلى لندن (أي رحلة داخل إنجلترا). وبالفعل أبحرت الرحلة من هل، لكن غضب البحر حال دون وصولها إلى لندن. إذ نزلت الرحلة اضطراريًا عند سواحل كرومر ووترتون نيس.

- الرحلة البحرية الثانية لروبنسون، كانت لمسافة أطول بكثير من سابقتها، إذ كانت رحلة دولية وليس محلية. لقد كانت رحلة من إنجلترا إلى ساحل غينيا (رحلة ذهاب وعودة). وقد قال روبنسون عن هذه الرحلة، أنها الرحلة الوحيدة التي يعتبرها ناجحة وموفقة بالمعنى الحقيقي للكلمة.

- الرحلة البحرية الثالثة، كانت أيضًا من إنجلترا إلى ساحل غينيا. لكن هذه الرحلة كانت تعيسة وكارثية على روبنسون. فقد هوجمت سفينة الرحلة قبالة السواحل المغربية، من قبل القراصنة. وبإثر ذلك صار روبنسون عبدًا، عند سيده التركي في مدينة سلا.

- أثناء فترة رزوحه تحت نير العبودية، في مدينة سلا المغربية. كان روبنسون وبأمر من سيده التركي، يذهب في رحلات بحرية محدودة (ليس ببعيد عن الشاطئ). وذلك من أجل الصيد، في أغلب الأحيان.

- عندما فر روبنسون من عبوديته، هرب على متن قارب. في رحلة من ساحل مدينة سلا، باتجاه الجنوب. حيث مياه السنغال وغامبيا (أي قبالة جزر الرأس الأخضر).

- بينما كان روبنسون ورفيقه في السفر (كزوري)، في طريقهما نحو منطقة جزر الرأس الأخضر. عثرت عليهما سفينة برتغالية في مياه المحيط. فحملتهما تلك السفينة على ظهرها، وأقلتهما في رحلة طويلة، إلى البرازيل. وبالتالي كانت هذه الرحلة سعيدة وموفقة بالنسبة لروبنسون.

- قرر روبنسون السفر وبرفقته مجموعة من التجار البرازيليين، إلى ساحل غينيا، وذلك من أجل جلب العبيد من هناك. تحركت سفينة الرحلة من البرازيل، لكن المحيط جرف السفينة عن مسارها المحدد نحو غينيا، لتتجه غربًا نحو الكاريبي.

وعلى مشارف الكاريبي، تحطمت السفينة فغرق جميع ركابها، عدا روبنسون الذي بقي الناجي الوحيد على قيد الحياة. لقد كانت هذه الرحلة الأكثر إيلامًا وترويعًا بالنسبة لروبنسون، فقد فتكت بجميع رفاقه، وجعلت الحال ينتهي به على شواطئ جزيرة نائية. ليعيش فوق أرضها ثمانية وعشرون عامًا، من العزلة والملل والمعاناة.

- أثناء مكوثه على أرض الجزيرة المنعزلة، قام روبنسون بالعديد من الرحلات البحرية البسيطة (مستخدمًا طوافة أو قارب صغير). فقد أبحر روبنسون مرات عديدة، باتجاه موقع حطام السفينتين الغارقتين (السفينة البرازيلية ثم السفينة الأسبانية). وذلك من أجل نشل وجلب بعض الأدوات والمنافع، التي من شأنها أن تحسن من حياته على أرض الجزيرة.

- قام روبنسون وعلى متن قاربه المتواضع، برحلة بحرية. بقصد الدوران حول الجزيرة واستكشاف محيطها وساحلها. لكن هذه الرحلة لم تنجح حتى النهاية، إذ لم ينجح روبنسون في إتمام دورته حول الجزيرة. فقد كان روبنسون على موعد جديد مع التعاسة وسوء الحظ. إذ قام تيار المحيط بجرف قاربه بعيدًا عن ساحل الجزيرة. وهذا ما حال دون أن يتم روبنسون رحلته البحرية الاستكشافية، حول الجزيرة.

- في رحلة بحرية هي الأطول، مقارنة بسائر رحلات روبنسون والرواية. نفذ القبطان الإنجليزي تعهده ووعده لروبنسون، فحمله على ظهر سفينته من الجزيرة الكاريبية المنعزلة إلى إنجلترا. وقد كانت هذه الرحلة من أسعد وأجمل الرحلات بالنسبة لروبنسون. كيف لا وقد أخرجته من الجزيرة، التي نبذ على أرضها ثمانية وعشرين عامًا.

- في رحلة بحرية هادئة وآمنة وبعيدة عن المخاطر، أبحر روبنسون من إنجلترا إلى لشبونة. وذلك من أجل التعرف والاطمئنان على مصير أملاكه في البرازيل.

- الرحلة البحرية الموجزة والضئيلة التي انتقل فيها روبنسون، من كاليه (الفرنسية) إلى دوفر (الإنجليزية). كانت هي الاستثناء البحري الوحيد، في الرحلة البرية الشاقة والطويلة، والتي خاضها روبنسون مع رفقاء السفر، من البرتغال إلى إنجلترا.

- اقترح القبطان البرتغالي على روبنسون، خوض رحلة بحرية من لاكورونيا إلى روشيل. لكن روبنسون لم يأخذ بهذه النصيحة، ولم يخض هذه الرحلة. كما وتبادرت إلى ذهن روبنسون فكرة خوض رحلة بحرية، من فونتاريبيا إلى بوردو. لكنه سرعان ما عدل عن هذه الفكرة،

وبالتالي لم يخص هذه الرحلة أيضًا. وقبل كل هذا، رفض روبنسون أن يعود من البرتغال إلى بلاده إنجلترا، من خلال رحلة بحرية. مفضلًا العودة عبر الطرق البرية.

٣) السفر البري:

راحت العديد من أحداث الرواية، تصف الرحلات البرية التي قام بها روبنسون كروزو. لكن إذا ما قارنا الرحلات البرية التي قام بها روبنسون بالرحلات البحرية، من حيث العدد. فإننا نجد الرحلات البرية قد كانت أقل ظهورًا في أحداث الرواية. فالرواية من حيث الأساس، تعد رواية مغامرات بحرية، أكثر منها رواية مغامرات برية.

إذًا ما نستنتجه هنا وبوضوح، هو أن الرحلات البحرية كانت أكثر ظهورًا وبروزًا في أحداث الرواية. كما أنه بإمكان الناقد أو المحلل، أن يدرك وأن يحصي الرحلات البحرية داخل الرواية، بسهولة ويسر. أما الرحلات البرية فيصعب تمييزها وإحصاؤها. لأن العادة جرت في غالبية الأعمال الأدبية والروايات تحديدًا، أن يكون مسرح الأحداث بريًا أكثر منه بحريًا.

لذلك لا نستطيع هنا أن نعتبر، كل مشوار بري قطعه البطل في عمل أدبي ما، من أجل تحقيق مصلحة ما، على أنه رحلة برية. وإن أراد المحلل أو الناقد أن يعمل بهكذا أسلوب، فلن يستطيع مجاراة الأحداث، وسيجد نفسه وبلا شك، في دوامة من التشتت والخلط ، بين مجريات الأحداث العادية والرحلات البرية.

لكن إذا ما نظرنا بعمق إلى أحداث الرواية. وإذا ما قرأنا تلك الأحداث بشيء من الحكمة والتحليل. سنجد ثمة رحلات برية، يمكن تمييزها بوضوح، عن سواها من تلك الغير مكتملة الوضوح.

إذ تبدو أهم الرحلات البرية في رواية روبنسون كروزو، على النحو التالي:

- بعدما نزل روبنسون وأفراد رحلته اضطراريًا، عند سواحل ونترتون نيس وكرومر. توجهوا جميعًا إلى يارموث، في رحلة برية قصيرة، مشيًا على الأقدام.

- في يارموث، افترق روبنسون عن أفراد الرحلة، والذين رافقهم منذ خروجه من هل. ما يهمنا هنا، هو أن روبنسون سافر لوحده، في رحلة برية من يارموث إلى لندن.

- حدثنا روبنسون، في الكثير من أحداث الرواية، أنه قام على أرض جزيرته الكاريبية المنعزلة، بالعديد من الرحلات البرية الاستكشافية. إذ كان الهدف من وراء هذه الرحلات البرية البسيطة. هو استكشاف أرجاء الجزيرة، بغية التعرف على مواردها، وأشكال السطح فيها، وأشياء أخرى.

- الرحلة البرية الأكثر أهمية في الرواية، كانت تلك الرحلة البرية الطويلة والشاقة، التي خاضها روبنسون وبعض رفاق السفر، من لشبونة إلى إنجلترا.

لقد قطع روبنسون كامل المسافة من لشبونة إلى إنجلترا، عبر الطرق البرية (باستثناء الإبحار الوجيز عبر القنال الإنجليزي من كاليه إلى دوفر). وفي طريقه من لشبونة إلى إنجلترا، مر روبنسون بالتراب البرتغالي، ثم الأسباني، ثم الفرنسي، ثم وصل إلى التراب الإنجليزي أخيرًا.

وفي رحلته البرية الطويلة تلك، مر روبنسون بالعديد من المدن الأوروبية كمدريد، وبامبلونا، وتولوز، وباريس، وغير ذلك.

٤) التنوع الإثني والحضاري للشخصيات:

طافت بنا أحداث الرواية في جولة، تعرفنا من خلالها على شخصيات، من مختلف الانتماءات والأنواع الإثنية، والحضارية، والثقافية. بالفعل لقد تواجدت الشخصيات داخل رواية روبنسون كروزو، بشكل فسيفسائي مبهر وعجيب.

فقد جاءت شخصيات الرواية كما ذكرنا، من خلفيات حضارية، وثقافية، وإثنية، مختلفة ومتنوعة. ولكنها في النهاية توحدت وانصهرت مع بعضها البعض، في بوتقة نص بديع ورائع.

تنوع الشخصيات جاء برأيي كنتيجة طبيعية، لتنوع الأماكن والنطاقات الجغرافية داخل الرواية. إذ يبدو التنوع الإثني والحضاري والثقافي لشخصيات الرواية، على النحو التالي:

- روبنسون، ووالديه، وابن أخيه، والقبطان الإنجليزي، والأرملة، وغيرهم من الشخصيات الإنجليزية الأخرى. ينتمون جميعًا إلى العرق النوردي الأبيض، وإلى الأصول الأنجلوساكسونية، والثقافة المسيحية البروتستانتية، والحضارة الأوروبية الغربية.

- القبطان البرتغالي، وابنه، وربما والز أيضًا. ينتمون إلى العرق القوقازي المتوسطي، والثقافة المسيحية الكاثوليكية، والحضارة الأوروبية الغربية، والسمات اللاتينية الأيبيرية.

- كريستيانوس (هو الرجل الأسباني الذي أنقذه روبنسون من قبضة المتوحشين)، وينتمي تقريبًا إلى نفس ما تنتمي إليه الشخصيات البرتغالية، سالفة الذكر.

- السيد التركي، ينتمي إلى العرق القوقازي الأرمني أو المتوسطي، والثقافة الإسلامية السنية، والحضارة الشرقية العثمانية.

- كزوري، وماريسكو، وإسماعيل ربما. ينتمون إلى العرق القوقازي المتوسطي، والملامح العربية أو البربرية، والثقافة الإسلامية، والحضارة العربية المغاربية.

- والد فرايدي، وغيره من المتوحشين والكاريبيين البدائيين. ربما ينتمون إلى عرق قريب من السلالة الزنجية، ويمثلون الثقافة الوثنية الطوطمية، والحضارة الكاريبية البدائية.

- فرايدي، ربما ينتمي إلى عرق قريب من السلالة الزنجية[1]، ويمثل الانتقال من الوثنية إلى

(1) ربما ينتمي فرايدي ووالده، وربعهم من الكاريبيين الأصليين، إلى عرق قريب من السلالة الزنجية الأسترالية.

المسيحية البروتستانتية، وكذلك الانتقال من الحضارة الكاريبية البدائية إلى الحضارة الغربية الأوروبية المتقدمة.

٥) استخدام الجهات الأربع وتفريعاتها:

في كثير من أحداث الرواية ومجرياتها، كان روبنسون يستخدم الجهات الأربع. لم يكتف روبنسون بالجهات الأربع، بل كان يستخدم تفريعاتها واشتقاقاتها في كثير من الأحيان.

نستنتج من القدرة المذهلة لروبنسون على تحديد مواقع الأماكن والظواهر الجغرافية، وفقًا للجهات الأربع وتفريعاتها. أنه كان على اطلاع ودراية ومعرفة كبيرة بالجغرافيا، وتقسيمات اليابسة، ومواقع النواحي والأقطار.

بالفعل كان روبنسون يستخدم الجهات الأربع وتفريعاتها وبدقة متناهية، من أجل تحديد مواقع الأماكن والظواهر الجغرافية داخل النص. ولعل هذا هو ما يزيد عند القارئ من إثارة ومتعة الإحساس، بتنقل الأحداث والتفاصيل من مكان إلى آخر، على أرضية المسرح الجغرافي للرواية.

التطرق إلى الجهات الأربع وتفريعاتها، وبكثرة كما هو الحال في هذه الرواية. يزيد بالتأكيد من حيوية وديناميكية ورشاقة الأحداث. فتصبح الأحداث أكثر وضوحًا وصراحة، وهذا ما يتيح للقارئ فرصة الوقوف على مسافة أكثر قربًا من النص، وبالتالي يصير مواكبًا أكثر للتطور والتغير المتواصل، الذي يطرأ على سير الأحداث وتفاصيل النص.

مما لا شك فيه، إن استخدام روبنسون للجهات الأربع وتفريعاتها، أو اشتقاقاتها، قد أضاف قيمة جمالية وجغرافية رائعة للنص، أو الرواية.

يمكننا تصنيف الجهات التي استخدمها روبنسون أو ذكرها في أحداث الرواية، على النحو التالي:

أ- الجهات الأربع، أو الجهات الأصلية. وقد ذكرها روبنسون وفقًا لصيغ عديدة، لعل أهمها هاتين الصيغتين: الصيغة الأولى (شرق- غرب- شمال- جنوب East، West، North، South). أما الصيغة الثانية فهي (شرقًا- غربًا- شمالًا- جنوبًا Eastward- Westward- Northward- Southward).

ب- الجهات الفرعية، أي الجهات المتفرعة من الجهات الأربع الأصلية. وقد جاء ذكر روبنسون لها وفقًا لصيغتين اثنتين. الصيغة الأولى (شمال شرقي- شمال غربي- جنوب شرقي- جنوب غربي North East، North West، South East، South West). أما الصيغة الثانية فهي صيغة الاختصارات abbreviations ، (مثلًا S.W وتعني اختصار للجنوب الغربي، وN.E أي الشمال الشرقي).

ت- الجهات الفرع فرعية، أي تلك التي يأتي اشتقاقها من الفروع وليس من الأصول. وبالمناسبة فإن كافة الجهات الفرع فرعية، التي ذكرها روبنسون في أحداث الرواية، جاءت وفقًا لصيغة الاختصارات. (فمثلًا عندما ذكر روبنسون N.N.E كان يقصد شمال الشمال الشرقي، وعندما ذكر E.S.E كان يقصد شرق الجنوب الشرقي).

في الغالب، جاء استخدام روبنسون للجهات وفروعها، وفروع فروعها، من أجل التعبير عن المواقف التالية:

- تحديد اتجاه الرياح.
- تحديد وجهة أو مسار الإبحار.
- تحديد موقع مكان ما على أرض الجزيرة.
- تحديد موقع مكان ما على ساحل الجزيرة.

- تحديد مواقع أماكن خارجية، مجاورة لموقع الجزيرة.
- تحديد مواقع أنشطة روبنسون وتنقلاته على أرض الجزيرة.

وهذه هي بعض النماذج، من أحداث الرواية التي استخدم فيها روبنسون الجهات واشتقاقاتها:
- (لقد أبحرنا جنوبًا، باتجاه الساحل البربري الحقيقي، حيث توجد أمم الزنوج).
- (عاصفة أخرى جاءت علينا، فقذفتنا بقوة واندفاع شديد نحو الغرب).

- (فقدنا رؤية اليابسة، وبدا لنا كأننا نتجه نحو جزر فرناندو دي نورونها. عدلنا مسارنا من الشمال الشرقي إلى الشمال، فتجاوزنا منطقة فرناندو دي نورونها بسلام، وتركنا تلك الجزر إلى الشرق منا).

- (هبت الرياح من جهة شمال الشمال الشرقي، وهذا ما جاء مخالفًا لرغباتي، فقد أجبرني اتجاه الريح هذا، على الإبحار نحو الجنوب. وبالتالي لم أتمكن من الإبحار شمالًا، نحو الساحل الأسباني، أو خليج قادش على أقل تقدير).

- (عندما صعدت إلى أعلى التل، رأيت سفينة رست لتوها في المياه، ناحية جنوب الجنوب الشرقي، على بعد فرسخين ونصف مني تقريبًا، ولكن ليس على بعد أكثر من فرسخ ونصف من ساحل الجزيرة).

٦) تخمين وتقدير المسافات والمواقع:

كون الرواية ملئا بالأماكن والمواقع الجغرافية، وبالتنقل والسفر والترحال. كانت ظاهرة تخمين وتقدير وتوقع المسافات والمواقع، هي السمة الغالبة على الكثير من أحداث الرواية.

فلم يخلُ موضع من الرواية، من اجتهاد روبنسون في تخمين أو تقدير يخص موقع ما أو

مسافة معينة. بالفعل لقد كان روبنسون جريئًا في إطلاق تخميناته وتوقعاته بشأن المسافات والمواقع. بل بالفعل كان روبنسون بارعًا وربما دقيقًا إلى حد بعيد، في تخمين وتوقع المسافات ومواقع الأماكن المختلفة. فقد كان روبنسون كما ذكرنا من قبل، على قدر كبير من المعرفة والدراية بالجغرافيا. وكان كذلك على قدر كبير من الخبرة في شؤون الإبحار وتقدير المسافات، ولعله اكتسب هذه الخبرة أساسًا، من رحلتيه اللتين قصد فيهما ساحل غينيا، في بداية الرواية.

عكف روبنسون على تخمين مواقع الأماكن، مستخدمًا المسميات الجغرافية، والجهات الأربع واشتقاقاتها، ووسائل أخرى متعددة غير ذلك. أما الوحدات المعيارية التي قام روبنسون باستخدامها في تخمينه للمسافات، فقد تنوعت ما بين (القدم، الياردة، الميل، الفرسخ).

قام روبنسون في العديد من أحداث الرواية، بتخمين وتقدير المسافات والمواقع. كي يعبر تحديدًا عن الحالات التالية:

- تخمين مواقع أماكن جغرافية (دول، جزر، .. الخ).
- تخمين الأماكن التي تنطلق منها وإليها السفن.
- تخمين المسافات بين السواحل، والسفن والقوارب التي في عرض البحر.
- تخمين المسافات التي قطعها روبنسون، في رحلاته وتنقلاته على أرض الجزيرة.
- تخمين المسافات بين أماكن وأماكن أخرى، تقع جميعها على أرض الجزيرة.

وهذه هي بعض الأمثلة، لأحداث الرواية التي قام فيها روبنسون، بتخمين وتقدير المسافات والمواقع:

- (وفقًا لحساباتي، المكان الذي أتواجد فيه حاليًا، يجب أن يكون هو تلك الدولة، التي تقع بين الأراضي المغربية شمالًا، وأراضي الزنوج جنوبًا).

- (بحسب توقعاتي، هذه اليابسة يجب أن تكون بالقرب من مناطق السيادة الأسبانية، أو ربما هي من الأماكن التي يقطنها المتوحشين البدائيين).

- (على الأرجح أن هذه السفينة، ربما أبحرت من بيونس ايرس أو ريو دي لا بلاتا، أي من منطقة جنوب القارة الأمريكية أو ما وراء البرازيل، إلى هافانا الواقعة في خليج المكسيك. أو ربما تكون وجهة السفينة إلى أسبانيا).

- (عندما اعتليت التل، استكشفت عيناي سفينة ترسو لتوها. ربما كان بيني وبين تلك السفينة نحو فرسخين ونصف تقريبًا. وربما كان بين تلك السفينة وساحل الجزيرة، مالا يزيد عن فرسخ ونصف تقريبًا).

- (قررت أن أسيج قطعة من الأرض، يبلغ طولها نحو ١٥٠ ياردة تقريبًا، أما عرضها فيبلغ نحو ١٠٠ ياردة تقريبًا).

- (وفي الصباح التالي، واصلت رحلتي الاستكشافية، فسافرت أربعة أميال تقريبًا).

- (كان هناك تل على أرض الجزيرة، لا يبتعد عني أكثر من ميل واحد).

- (رأيت قارب في عرض المياه، ربما لا يبتعد عنا سوى فرسخ ونصف الفرسخ).

٧) الوصف الجغرافي للأماكن:

في مواضع متعددة من أحداث الرواية، قدم لنا روبنسون وصفًا جغرافيًا وافيًا، للعديد من الأماكن والمواقع الجغرافية. يبدو بشكل جلي وواضح، أن الوصف الذي يقدمه روبنسون في هذه المواضع، هو وصفًا جغرافيًا وليس وصفًا عاديًا. وذلك كون روبنسون يتناول الموصوف من منظور جغرافي، ومكاني، ومساحي، وطبيعي، وتضاريسي، بحت وصريح. فحديث روبنسون أو وصفه، كما سنشاهد في الأمثلة التالية، تغلب عليه النكهة الجغرافية بوضوح:

- (لقد كنت في جزيرة، محاطة بالبحر من كل الأرجاء. لا أكاد أرى من حولي أية يابسة،

سوى بعض الصخور، التي تقع على مسافة بعيدة من الجزيرة. وأستطيع أيضًا رؤية جزيرتين صغيرتين، أصغر من جزيرتي هذه. كلتا الجزيرتين تقعان إلى الغرب من جزيرتي، وتبعدان عنها نحو ثلاثة فراسخ تقريبًا).

- (عرفت لاحقًا أن جزيرتنا تقع قبالة مصب نهر الأورينوكو. وأن اليابسة الكبيرة التي تقع إلى الغرب أو الشمال الغربي من جزيرتنا، هي جزيرة ترينيداد العظمى، والتي تقع بدورها على مقربة شديدة من مصب الأورينوكو، وتحديدًا إلى الشمال منه).

- (لم تكن الجزيرة كبيرة جدًا. عندما توجهت إلى الجانب الشرقي من الجزيرة، وجدت نتوءًا صخريًا كبيرًا، يقع في مياه المحيط على بعد نحو فرسخين من ساحل الجزيرة. بعض أجزاء ذلك النتوء الصخري كانت بارزة فوق الماء، وأجزاء أخرى منه كانت تحت سطح الماء. ووراء ذلك النتوء الصخري كان يوجد شريط أو حاجز رملي، تعلوه رمال جافة تمامًا، ويمتد في الماء لمسافة نحو نصف فرسخ تقريبًا).

٨) تضمين معلومات وشروحات جغرافية:

كثير من الأحداث أو الأحداث الجغرافية التي تكتنز بها جنبات الرواية، كان يتخللها أو يتذيلها معلومات وشروحات جغرافية إضافية، يقدمها روبنسون. أي كان روبنسون في هذه الأحداث يستطرد جغرافيًا، فيتوسع ويضيف على الأحداث مزيدًا من المعلومات والشروحات الجغرافية التكميلية.

وهذه هي بعض النماذج من الأحداث التي استطرد فيها روبنسون جغرافيًا، وأضاف إليها معلومات وشروحات جغرافية إضافية وتكميلية:

- (المرة الأولى التي رسوت فيها على اليابسة، كانت في منطقة تقع إلى الجنوب من سلا، بما

لا يقل عن ١٥٠ ميل. أي تقريبًا وراء مناطق السيادة المغربية، وتحديدًا في منطقة صحراوية قاحلة تخلو تمامًا من السكان).

- (بما أنني مررت عن هذا الساحل من قبل، أدركت جيدًا أن جزر الكناري وجزر الرأس الأخضر أيضًا، تقع جميعها على مسافة ليست ببعيدة من هذا الساحل. لكنني لم أكن أمتلك أدوات، لأستطيع من خلالها معرفة دائرة العرض الأقرب إلينا. وفي ذات الوقت لم أكن أعلم أو على الأقل أتذكر، دوائر العرض التي تقع عليها هذه الجزر. لذلك وقفت حائرًا لا أعلم أين أبحث بالضبط عن تلك الجزر وبأي اتجاه، ولا أعلم النقاط الساحلية التي توازيها بالضبط هذه الجزر).

- (لمرة أو مرتين في وقت النهار، أعتقد أنني رأيت بيكو تنريف، القمة العالية لجبل تنريف، الواقع في جزر الكناري. كانت لدي رغبة في المجازفة، على أمل الوصول إلى هناك. حاولت مرتين، لكن كلا المحاولتين باءتا بالفشل، ففي كل مرة كانت تواجهني اتجاهات الريح العكسية، وكان المحيط كذلك يقسو كثيرًا على قاربي الصغير).

٩) استخدام دوائر العرض وخطوط الطول:

ظهر جليًا في أحداث الرواية، استخدام روبنسون والبحارة الذين يرافقونه في كل مرة، لتقنية دوائر العرض **Latitude** وخطوط الطول **Longitude**، كوسيلة لتحديد المواقع الجغرافية للأماكن. كان روبنسون وبقية البحارة في الرواية، يرصدون دوائر العرض وخطوط الطول بدقة متناهية وإتقان. إذ كانوا يحددونها بالتفاصيل والدقائق. ربما كانوا يعتمدوا في قياسهم لدوائر العرض وخطوط الطول، على بعض الأدوات التي تساعدهم على القيام بذلك. لكن هذا لا يقلل بأي حال من الأحوال، من شأن القدرة والدراية الجغرافية الفائقة لروبنسون، وزملائه من ربابنة وبحارة الرواية، فاستخدام دوائر العرض وخطوط الطول وعلى هذا النحو الدقيق، يعد

أحد أهم العوامل التي صبغت الرواية، صبغتها الجغرافية المميزة.

هذه بعض النماذج أو الأمثلة، من أحداث الرواية التي جاء فيها، استخدام دوائر العرض وخطوط الطول:

- (وقفنا بعيدًا، إلى الشمال من ساحلنا. وكنا ننوي تحويل مسارنا باتجاه ساحل أفريقيا، وذلك بمجرد وصولنا عند درجتي ١٠ أو ١٢ شمال خط الاستواء).

- (أعتقد وبحسب قياساتي وتقديراتي، أنني عند دائرة عرض مقدارها ٩ درجات و ٢٢ دقيقة، شمالي خط الاستواء).

- (قام القبطان بإجراء قياساته على قدر المستطاع، فوجد أنه كان تقريبًا عند دائرة عرض، مقدارها ١١ درجة شمالي خط الاستواء. لكنه كان عند خط طول يقع إلى الغرب من رأس سانت أوغسطين ب ٢٢ درجة. لذلك فقد وجد أنه كان في منطقة ما، فوق ساحل غويانا، أو الجزء الشمالي من البرازيل).

١٠) الاستكشاف الجغرافي للأماكن:

كان استكشاف الأماكن، هو أحد معالم السلوك الجغرافي لروبنسون، في هذه الرواية. كانت أحداث الرواية مليئة بالأماكن الغريبة والغامضة، وخصوصًا تلك التي في الجزيرة الكاريبية المنعزلة، على وجه التحديد. لذلك كان الشغل الشاغل لروبنسون وفي كثير من المناسبات والمواقف، هو استكشاف تلك الأماكن، وذلك من خلال تقييمها جغرافيًا، والتعرف على ماهياتها ومزاياها ومواصفاتها الجغرافية.

النماذج أو الأمثلة التالية، هي من ضمن تلك الأحداث، التي اشتملت على استكشافات

روبنسون الجغرافية لبعض الأماكن:

- (مهمتي التالية كانت هي استكشاف المنطقة، وإيجاد مكان مناسب كي أجعله مسكنًا لي، وفي نفس الوقت مخزنًا لحاجياتي وأغراضي. لا أعلم إذا ما كنت فوق أرض قارية أم أرض جزيرة. لا أعلم إذا ما كانت هذه اليابسة مأهولة بالسكان أم غير مأهولة. لا أعلم إذا ما كانت تتهددني هاهنا، مخاطر الحيوانات المفترسة أم لا).

- (بعد أن نجحت في تأمين المسكن المناسب لي، كانت لدي رغبة جامحة، في القيام برحلة استكشافية أكثر دقة لأرض الجزيرة، كي أتعرف على المزيد من مقدرات ومنتجات الجزيرة، التي لم أعرفها بعد، وفي يوم الخامس عشر من يوليو، بدأت في القيام بمسح استكشافي دقيق جدًا لأرض الجزيرة).

- (الاستكشافات التي قمت بها في تلك الرحلة الصغيرة، جعلتني شغوف جدًا لرؤية أجزاء أخرى من الساحل. وبعد أن صار لدي قارب، لم أفكر في شيء سوى، الإبحار حول محيط الجزيرة).

١١) أهمية المرتفعات:

تأسيسًا على ما ذكرناه في البند السابق، نقول أن أهمية المرتفعات في الرواية، تكمن في كونها منافذ أو وسائل للاستكشاف. فقد عكف روبنسون في العديد من أحداث الرواية على اعتلاء المرتفعات، من أجل كشف محيطه الجغرافي، واستكشاف واستطلاع ورصد كل شاردة وواردة تدور من حوله، كانت أرض الجزيرة تحتوي على العديد من أشكال المرتفعات، كالتكتلات الصخرية والتلال. لكن روبنسون وكما سنشاهد في الأمثلة التالية، وضع معظم تركيزه على أحد التلال. وهو التل الأكثر أهمية وإستراتيجية لروبنسون ومهماته الاستكشافية.

- (صعدت إلى قمة ذلك التل، من أجل الاستكشاف. فبعد أن وصلت إلى قمة ذلك التل

بالكثير من الجهد والمشقة، ولحظي العاثر والخائب، فقد اكتشفت أنني متواجد على أرض جزيرة منعزلة، محاطة بالبحر من كل الاتجاهات. لم أجد من حولي أي من أشكال اليابسة، سوى بعض الصخور، والتي تبتعد ...).

- (اصطحبت منظاري معي، وصعدت إلى جانب التل، لأستكشف ما يمكنني استكشافه. فشاهدت من خلال منظاري وعلى وجه الفور، أنه كان هناك ٢١ من المتوحشين، وثلاثة أسرى، وثلاثة قوارب).

- (صعدت إلى أعلى التل، لأستكشف وأرى كيف يبدو الساحل، وكيف تبدو حالة تيار البحر).

١٢) الاهتمام بحركتي المد والجزر، وتيار البحر، وحركة الأمواج:

تبدى لنا في كثير من أحداث الرواية، ذلك الاهتمام الكبير الذي أولاه روبنسون لمسائل المد والجزر، وتيار البحر، وحركة الأمواج. فالرواية أساسًا، وكما ذكرنا من قبل، هي عبارة عن سلسلة من المغامرات والتي يغلب على معظمها، الطابع الملاحي أو البحري. لذلك فشيء طبيعي وبديهي جدًا، أن تكون شؤون حركتي المد والجزر، وتيار البحر، وحركة الأمواج، من أبرز اهتمامات روبنسون في هذه الرواية.

روبنسون كونه البطل المطلق والأوحد، في هذه الرواية، اهتم كثيرًا برصد حركات المد والجزر والتيارات البحرية والأمواج. أما روبنسون كونه الراوي الوحيد، في هذه الرواية، فقد كانت الكثير من الأحداث التي نقلها ورواها لنا، بخصوص المد والجزر والتيارات البحرية والأمواج، وهذه بعض النماذج من تلك الأحداث:

- (في متابعة للبحر، من فوق ذلك التل الذي أعتليه، لاحظت وجود تيار بحري قوي وعنيف، كان يتحرك باتجاه الشرق).

- (بعد الظهر بقليل، وجدت البحر هادئ جدًا ولطيف، وقد حدث جزر، فانحسر البحر عن اليابسة لمسافة كبيرة. إذ صار بمقدوري أن أعبر مسافة ربع ميل من البحر فقط ، كي أصل إلى موقع السفينة).

- (نجحت في التمركز فوق تل صغير. وقد كان هذا التل يكشف البحر وبوضوح، ومن كلا الجهتين. فمن فوق ذلك التل، استطعت مراقبة حركة التيارات البحرية والمد والجزر).

- (الموجة التي جاءت ناحيتي مرة أخرى، ابتلعتني أو غمرتني بداخلها لمسافة عشرين أو ثلاثين قدم تقريبًا. فشعرت نفسي أقذف بقوة هائلة باتجاه الساحل).

- (لم أستطع تخليص نفسي من تلك الأمواج العاتية، لم أستطع حتى أن ألتقط أنفاسي. لكن هذه الأمواج كانت تقذفني بعيدًا، نحو الساحل).

١٣) الاهتمام بسرعة الرياح واتجاهاتها:

استكمالًا لاهتمامه بشؤون المد والجزر والتيارات البحرية والأمواج، يأتي هاهنا اهتمام روبنسون بعنصر آخر من عناصر الجغرافيا الطبيعية، ألا وهو سرعة الرياح واتجاهاتها.

لقد كان روبنسون يراقب حركة الرياح، في مواضع كثيرة من أحداث الرواية.

مراقبة روبنسون واهتمامه بشؤون الرياح، تعد بالتأكيد سمة هامة، من تلك السمات التي صبغت الرواية، بصبغتها الجغرافية الواضحة تلك.

وهذه بعض النماذج، من أحداث الرواية، التي تناول فيها روبنسون مسألة الرياح:

- (أبحرت لمدة خمسة أيام، كان الريح خلالها لطيفًا ومعتدلًا. لكن بعد ذلك انحاز الريح إلى ناحية الجنوب).

- (كان الريح يهب من ناحية شمال الشمال الشرقي، وهذا ما جاء مخالفًا لرغبتي وإرادتي. فلو هب هذا الريح من ناحية الجنوب، لتمكنت بالتأكيد من الوصول إلى ساحل أسبانيا، أو خليج قادش على أقل تقدير).

- (مكثت هنا، وبأي وسيلة، لمدة يومين. لأن الريح كان يهب باتجاه شرق الجنوب الشرقي، وكان ذلك مناقضًا ومعاكسًا لحركة تيار البحر).

- (شعرت بنسيم رقيق من الريح يداعب وجهي، ويأتي من ناحية جنوب الجنوب الشرقي).

١٤) قصد خليج أو مصب نهر، من أجل عملية الرسو:

انطلاقًا من الطبيعة البحرية للرواية، كانت الضرورة تقتضي في كثير من الأحيان، أن يبحث روبنسون عن مصب نهر أو جدول، أو خليج صغير، من أجل إتمام عملية الرسو هناك. من المعروف ملاحيًا، أن المركبة البحرية (سواء سفينة أو قارب) تحتاج إلى قصد مكان بهكذا طبيعة ومزايا جغرافية، من أجل إتمام عملية الرسو بسهولة وأمان. حتى الموانئ الحديثة التي يتم تشييدها اليوم، يراعى فيها وجود بعض المزايا الجغرافية والهندسية الشبيهة.

الأشياء التي كان روبنسون يبحث عنها، أي سواء مصب النهر أو الجدول، أو الخور، أو الخليج، جميعها تعتبر أشكال وأنماط لأماكن جغرافية. وبالتالي فالبحث عنها، وقصدها من أجل إتمام عملية الرسو فيها، يعتبر نشاطًا جغرافيًا بحتًا.

في النماذج التالية، سنشاهد مدى اهتمام روبنسون بمصب النهر والجدول، والخور، والخليج، كأماكن ضرورية لعملية الرسو:

- (جازفت من أجل الوصول إلى الشاطئ، ورسوت عند مصب نهر صغير. لم أكن أعلم أي نهر هذا، ولم أكن أعلم موقعه بالتحديد، ولا مقدار دائرة العرض التي يقع بها. لم أكن أعلم في أي بلد يقع هذا النهر، ولا اسم الأمة التي تعيش من حوله، أو بالقرب منه).

- (الرجاء الوحيد، الذي من الممكن أن يعطينا ولو ذرة من الأمل، هو لو نتمكن من إيجاد خليج، أو خور، أو مصب نهر ما. سنكون محظوظين بشكل عظيم لو تمكنا من إيجاد هكذا مكان، إذ يمكننا أن نرسي قاربنا من خلاله).

- (وبالتالي، كنت أأمل أن أجد هناك جدول أو نهر صغير، كي أستخدم ذلك الجدول أو النهر كمرفأ، يمكنني أن أرسو عنده بحمولتي).

١٥) التعرض للكوارث الطبيعية:

شهدت أحداث الرواية تعرض روبنسون للعديد من الكوارث الطبيعية. وقد كانت هذه الكوارث الطبيعية، من أبرز المعيقات والعقبات التي واجهها روبنسون طوال مسيرته الشاقة والمتعبة في الرواية.

استكمالًا للكوارث البشرية (أي التي جاءت بفعل البشر)، كعبودية سلا، وإرهاب آكلي لحوم البشر. جاءت الكوارث الطبيعية (وهي الكوارث التي ليس للبشر دخل في نشأتها)، فتعرض روبنسون وعلى مدار أحداث الرواية لكوارث ومحن عديدة: كالزوابع، والأعاصير، والزلزال المدمر، والعواصف البحرية، والتيارات المائية الجرارة، وأشياء أخرى غير ذلك.

لولا تعرض روبنسون لهذه النكبات وهذه الكوارث، لما صار بالإمكان اعتباره مغامرًا، فكيف يكون هناك مغامر في منأى عن الصعاب، والشدائد، والنكبات، والكوارث ؟!.

إذًا فالمكان المناسب والطبيعي لبطل خارق على غرار روبنسون، يجب أن يكون دومًا في قلب الشدائد والتحديات. فطريق البطل المغامر، لا ولن يكون يومًا مفروشًا بالورود.

كان روبنسون في هذه الرواية كالفارس الماهر والبارع، إذ تجاوز وتخطى بجواده، جميع الحواجز والموانع التي وضعها له دانيال ديفو، في كل ركن وزاوية من طرق ودهاليز الرواية.

الكوارث الطبيعية التي حلت بروبنسون، أثرت عليه وبلا شك معنويًا ونفسيًا. ولكنه في النهاية تخطاها، شأنها شأن بقية الحواجز والموانع الأخرى، ليحقق الوصول إلى نجاته المجنونة في آخر الرواية.

وهذه هي بعض المواقف، التي تعرض فيها روبنسون للكوارث الطبيعية:

- عندما كان روبنسون على متن السفينة المتوجهة من هل إلى لندن، هبت عاصفة بحرية مروعة، كادت أن تفتك بجميع أفراد الرحلة. فاضطر روبنسون ومن معه في الرحلة، إلى طلب النجاة من خلال اللجوء اضطراريًا، إلى ساحل ونترتون نيس وكرومر.

- عندما كان روبنسون ومعه مجموعة من البحارة والتجار، في رحلة بحرية انطلقت من البرازيل باتجاه ساحل غينيا. جاءت عاصفة بحرية عنيفة، فجرفت السفينة التي كان على متنها روبنسون ومن معه غربًا، قبل أن تتحطم السفينة ويموت جميع ركابها وأفراد طاقمها. أما روبنسون فيظل الناجي الوحيد الباقي على قيد الحياة، لتدرك قدماه فيما بعد، يابسة شاطئ الجزيرة الكاريبية.

- في يوم ما، من الأيام التي قضاها روبنسون على أرض الجزيرة. ضرب أرض الجزيرة زلزال عنيف ومدمر. فأخذت تحدث إنزلاقات وانهيارات صخرية رهيبة ومخيفة، من أعلى قمم التلال. وقد كانت الصخور تحدث عند سقوطها على الأرض، أصوات مهولة تصم الآذان.

- عندما كان روبنسون في رحلة استكشافية حول الجزيرة، قام تيار بحري قوي جدًا بجرف قاربه، بعيدًا عن شاطئ الجزيرة. فكاد روبنسون من جراء ذلك أن يهلك ويغرق، لولا أن العناية الإلهية حالت دون ذلك.

- لقد واجه روبنسون ورفاقه في السفر، صقيع شرس وقارس وقاتل. وذلك عندما كانوا متجهين من شمال أسبانيا إلى الأراضي الجنوب فرنسية، أي بالتحديد في منطقة جبال البرانس.

١٦) التنوع المناخي، والحديث عن الحالة الجوية:

اعتاد روبنسون وفي الكثير من أحداث الرواية، على الحديث عن الحالة الجوية. فقد كان يحدثنا عن درجات الحرارة، وعن الأمطار، والرياح، والصقيع، والضباب، وأشياء أخرى.

حدثنا روبنسون كيف كانت الحالة الجوية الجيدة، تنعكس عليه وعلى نفسيته بالإيجاب. وفي المقابل كيف كانت الحالة الجوية السيئة، تنعكس عليه وعلى نفسيته بالسلب. فقد كانت الأجواء السيئة، تحبسه أحيانًا عن مبارحة مسكنه لأيام عديدة ومتواصلة، وذلك عندما كان يعيش فوق أرض الجزيرة.

كان روبنسون يصف لنا الحالة الجوية لأيامه، وكان يحدثنا عنها باهتمام شديد. كيف لا وللحالة الجوية بالغ التأثير على حياته اليومية، وعلى توجيه دفة نشاطاته، التي كان يمارسها على أرض الجزيرة تحديدًا.

قدم روبنسون دراسة استنتاجية وتحليلية دقيقة إلى حد ما، لتصوره بشأن مناخ الجزيرة. فقد بدت الفصول الأربعة للمناخ السنوي للجزيرة، وبحسب روبنسون، على النحو التالي:

- الفصل الأول: يبدأ من منتصف فبراير وينتهي عند منتصف أبريل، وهو فصل مطير.

- الفصل الثاني: يبدأ من منتصف أبريل ويستمر حتى منتصف أغسطس، وهو فصل جاف.

- الفصل الثالث: يبدأ من منتصف أغسطس وينتهي عند منتصف أكتوبر، وهو فصل مطير.

- الفصل الرابع: يبدأ من منتصف أكتوبر ويستمر حتى منتصف فبراير، وهو فصل جاف.

المواقع الجغرافية الكثيرة التي تنقل فيما بينها روبنسون، أعطت الرواية سمة جغرافية هامة جدًا، ألا وهي التنوع المناخي. فكل منطقة أو دولة زارها روبنسون في رحلاته، تميزت عن غيرها ببعض سمات نمطها المناخي الخاص. ولا عجب أن نرى روبنسون قد جمع في أسفاره التي زار فيها ثلاث قارات، بين تناقضات وتباينات وتفاوتات مناخية واضحة.

فبداية مغامرات روبنسون كانت انطلاقًا من بريطانيا، صاحبة المناخ البارد والبارد جدًا أحيانًا. وفي أماكن أكثر دفئًا من بريطانيا، نجد روبنسون قد زار كل من أسبانيا وفرنسا والبرتغال، إذ يغلب على ثلاثتها تقريبًا نمط مناخ البحر الأبيض المتوسط. أما تجربة روبنسون مع جبال البرانس، فقد كانت قاسية جدًا، فمناخ تلك الجبال في فصل الشتاء يكون قارس ولا يحتمل.

عند الاتجاه جنوبًا نحو الأماكن الأكثر دفئًا، نجد مدينة سلا ذات مناخ متوسطي معتدل. أما الصحراء الغربية وموريتانيا، فكلاهما ذات مناخ حار وجاف. وفي النهاية نجد أن السنغال وغينيا والبرازيل والجزيرة الكاريبية، جميعها ذات مناخات متقاربة، تتفاوت وتتأرجح بين ما هو مداري وما هو استوائي من السمات المناخية.

ما بين الجزيرة الكاريبية المطيرة والمخضوضرة، والصحراء الغربية الجافة الفقيرة والمقفرة. ما بين صهد شمال البرازيل الحارق، الذي يتبخر بفعله الدم من مسام الجلد، وصقيع شمال إنجلترا القارس، الذي يتجمد بفعله الدم في العروق. هنا تكمن تناقضات المناخ العجيبة، والتي جمع بينها روبنسون في مغامراته الغريبة !!.

١٧) الجغرافيا الزراعية:

من المعروف علميًا، أن أنواع النباتات والزروع تختلف من مكان لآخر، بسبب التنوع والتباين المناخي للأماكن. فعلى سبيل المثال نباتات مناخ التندرا البارد في روسيا، تختلف عن نباتات المناخ المتوسطي في اليونان، وعن نباتات المناخ المداري أو الاستوائي في الهند والكاميرون مثلًا.

كما ذكرنا من قبل، تمتاز الرواية بتنوع وثراء مكاني وجيوديسي كبير جدًا، وبالتالي تمتاز بتعدد في المناخات. وقد تحدث روبنسون في كثير من أحداث الرواية عن نشاطاته الفلاحية، وعن الكثير من أنواع الغلال والنباتات والزروع.

لكن روبنسون لم يتحدث عن الأنماط الزراعية والغلال والنباتات، الخاصة بكل إقليم أو مكان من أماكن الرواية. أي لم يتحدث مثلًا عن المزروعات والنباتات الخاصة بإنجلترا وأسبانيا وفرنسا والبرتغال، ولم يحدثنا كذلك عن الزروع ولا الزراعة الأفريقية. بل تطرق روبنسون في أحداث الرواية، فقط إلى الزراعة في البرازيل وجزيرته الكاريبية.

في البرازيل، كانت حرفة روبنسون أصلًا هي الزراعة، فقد كان روبنسون مزارعًا، وكانت له مزرعته الخاصة. في مزرعته البرازيلية، عمل روبنسون على زراعة نباتات ومحاصيل متعددة، أهمها التبغ وقصب السكر.

الحديث الأكثر تفصيلًا وإسهابًا لروبنسون بخصوص الزراعة، كان حديثه عن الزراعة والمزروعات في جزيرته الكاريبية. فقد تحدث روبنسون عن ممارسته لزراعة الغلال. إذ كان يزرع على أرض الجزيرة ثلاثة أنواع من الغلال وهي: الأرز، والشعير، والذرة.

لقد كانت هذه المحاصيل الثلاثة، بمثابة المحاصيل الأساسية التي يقوم ويرتكز عليها النظام الغذائي لروبنسون، وكل من جاء ليسكن معه أرض الجزيرة في مراحل متقدمة من الرواية.

أشار روبنسون إلى أن ثمة معالم لأنماط النباتات الاستوائية أو شبه الاستوائية، تتواجد على أرض الجزيرة. كحشائش السافانا، وقصب السكر البري، وأشجار الكاكاو البري. بالإضافة إلى ذلك فقد تحدث روبنسون عن استفادته من وجود أنواع من شجيرات وأشجار الفواكه البرية على أرض الجزيرة كالشمام، والعنب، والبرتقال، والليمون، والأترج.

وكي لا ننسى، فقد تحدث روبنسون كثيرًا عن الغابات الاستوائية المتواجدة على أرض الجزيرة، وما تحتويه تلك الغابات من أشجار استوائية، ذات نوعية جيدة من الأخشاب. ولقد حدثنا روبنسون في أكثر من مرة عن صناعته للقوارب، من تلك الأخشاب المتينة والممتازة التي تدرها الأشجار الاستوائية.

بالفعل لم يتحدث روبنسون عن الشؤون الزراعية والنباتية، الخاصة بكل الأماكن والأقاليم التي تنقلت فيما بينها أحداث الرواية. بل كان أغلب تركيز روبنسون واهتمامه متعلق بالشؤون الزراعية والنباتية الخاصة بالجزيرة الكاريبية، وبدرجة أقل من ذلك بالبرازيل.

لم يحدث للحيوانات نفس ما حدث للزراعة والنبات، فقد توزعت الحيوانات التي ذكرها روبنسون، على سائر الأماكن التي دارت فيها أحداث الرواية تقريبًا. ففي غرب أفريقيا جاء ذكر النمر، وفي الجزيرة الكاريبية جاء ذكر الببغاء، وفي جبال البرانس جاء ذكر الدب.

أي أن النمر في هذه الرواية يمثل أفريقيا، والببغاء يمثل الكاريبي وأمريكا اللاتينية، والدب يمثل أوروبا. أي أن القارات الثلاث كانت ممثلة وبوضوح في حيوانات الرواية.

١٨) الحظ وسوء الحظ الجغرافي:

في بعض مواطن الرواية كانت الجغرافيا تمثل سوء الحظ بالنسبة لروبنسون، وفي مواطن أخرى كانت تمثل له الحظ والخير والسلامة. جلبت الجغرافيا سوء الحظ وسوء التوفيق لروبنسون، عندما جعلته يسقط في قبضة القراصنة وبراثن العبودية. وعندما جعلته ينبذ وينعزل على أرض

جزيرة مجهولة، تخلو تمامًا من السكان. وعندما جعلته يتعرض لزلزال عنيف ومدمر، كاد أن يهلك فيه. وأيضًا عندما جعلته لسنين طويلة، يعجز عن الفرار وكسر عزلته على أرض الجزيرة.

أما المواقف التي كان روبنسون محظوظًا فيها مع الجغرافيا، فقد كانت مواقف عديدة، وهذه أبرزها:

- بفضل الجغرافيا تحطمت كلًا من سفينة روبنسون البرازيلية والسفينة الأسبانية، على مقربة شديدة من ساحل الجزيرة. وبالتالي كان بإمكان روبنسون الوصول وبسهولة إلى حطام هاتين السفينتين، وانتشال ما ينفعه ويلزمه من منافع وأشياء كانت بداخلهما.

- كانت الجغرافيا رحيمة بروبنسون، وذلك عندما جعلت عزلته تكون على أرض جزيرة، لا يقطنها أي من المتوحشين آكلي لحوم البشر.

- كان روبنسون محظوظًا جدًا، لأن آكلي لحوم البشر اعتادوا في زياراتهم للجزيرة، على النزول عند جانبها الغربي. بينما هو كان يقيم ويمارس أغلب نشاطاته، في القسمين الشرقي والأوسط من أرض الجزيرة.

- المرتفعات والتلال التي أهدتها الجغرافيا لروبنسون في هذه الرواية، مكنته من استكشاف محيطه، واستطلاع كل شاردة وواردة تدور من حوله. سواء على أرض الجزيرة، أو في المياه القريبة من ساحلها.

١٩) تضاريس الجزيرة:

لقد أشرنا في العديد من النقاط والبنود السابقة، إلى أن جزيرة روبنسون الكاريبية كانت ذات تضاريس متنوعة. بالفعل لقد تعددت أشكال السطح على أرض الجزيرة، وبشكل مدهش ولافت للنظر. فبالرغم من صغر ومحدودية مساحة الجزيرة، إلا أنها كانت تحتوي على ما هو مرتفع وما هو منخفض، ما هو سهلي وما هو وعر، من الأشكال والمعالم التضاريسية.

حدثنا روبنسون في كثير من أحداث الرواية، ووصف لنا العديد من أرجاء الجزيرة، وصفًا تضاريسيًا دقيقًا. وإجمالًا يمكننا القول أن المعالم التضاريسية الموجودة على أرض الجزيرة، تبدو في معظمها كالآتي: تلال، نتوءات صخرية، وديان، سهول، غابات، مرتفعات غابية، جداول، مروج، شواطئ، وغير ذلك.

مما لا شك فيه، أن التنوع التضاريسي لأشكال سطح الجزيرة، كان أحد أبرز وأهم السمات الجغرافية، التي امتازت بها أحداث الرواية.

٢٠) الاستفسار عن معلومات جغرافية:

في الأجزاء الأخيرة من الرواية، تخلص روبنسون من وحدته القاتلة، وصار بجواره من يشاركونه الحياة على أرض الجزيرة. حينئذ بدأ روبنسون يسأل من حوله، بشأن بعض الأمور والمسائل الجغرافية.

فمثلًا، قام روبنسون بسؤال الرجل الأسباني (كريستيانوس)، حول وجهة ومصير السفينة التي كان على متنها هو ورفاقه. حينها أجابه كريستيانوس، أن السفينة كانت متوجهة من ريو دي لا بلاتا إلى هافانا، وكانت محملة بالفضة وجلود المواشي، لكنها تعثرت وغرقت في المحيط، فلجأ هو ورفاقه إلى ساحل من سواحل المتوحشين البدائيين.

الكم الأكبر من الأسئلة الجغرافية التي وردت في الرواية، تمثل في الأسئلة الكثيرة التي انهال بها روبنسون على رفيقه الوفي فرايدي. فقد قام روبنسون بسؤال فرايدي والاستفسار منه، حول الكثير من القضايا والمسائل الجغرافية.

لاحظوا الفقرة التالية، المقتبسة من أحداث الرواية. وتأملوا فيما قال روبنسون، عن الكم الكبير من الأسئلة الجغرافية، والتي انهال بها على فرايدي:

(سألت فرايدي ألف سؤال حول البلاد، والسكان، والبحر، والساحل، والأمم التي تعيش في الجوار. وقد أجابني فرايدي بكل ما يملك من علم ودراية).

قام روبنسون بسؤال فرايدي عن أسماء الشعوب والأعراق، التي تعيش في محيط الجزيرة. فلم يجبه فرايدي سوى بكلمة (كاريبيين). وقام كذلك بسؤال فرايدي عن المسافة التي تفصل بين الجزيرة وساحل المتوحشين، وسأله أيضًا عن أمور أخرى كثيرة.

- رابعًا: أثر المؤلف.

ذكرنا فيما سبق، أن مؤلفي وكتاب النصوص الأدبية الجغرافية الواقعية، ينقسموا عادة إلى فريقين. أما الفريق الأول، فيمثله المؤلفون الذين يأخذون فكرة وأحداث النص الأدبي الذي يكتبونه، من تجارب ومعايشات وروايات وأخبار الغير. بينما الفريق الثاني، يمثله المؤلفون الذين يأخذون فكرة ومجريات النص الذي يكتبونه، من واقع تجاربهم الشخصية، ومشاهداتهم، ومعايشتهم للأمور عن كثب.

إذًا المؤلف في الفريق الأول دوره هو أنه مؤلف فقط. أما المؤلف في الفريق الثاني فيتجاوز كونه مؤلف فحسب، من خلال كونه بحارًا، أو مغامرًا، أو رحالة، أو مستكشفًا، أو غير ذلك. المؤلف في الفريق الأول يكتب عن ما يسمع أو يقرأ عنه فقط. بينما المؤلف في الفريق الثاني يكتب عن ما يراه بعينيه، ويلاحظه واقعًا ماثلًا أمامه.

دانيال ديفو وفي هذه الرواية تحديدًا، كان ممن ينطبق عليهم تصنيف الفريق الأول. أي أن علاقة ديفو بروايته روبنسون كروزو، لا تتجاوز كونها علاقة مؤلف بما ألف، فقط. غالبية أحداث الرواية وكما نعلم، وقعت على أرض تلك الجزيرة الكاريبية، وفي محيطها. وديفو كما ورد في سيرته، لم يسافر يومًا إلى هناك، ولم تطأ قدميه ذلك الركن البعيد من العالم.

نعم بالفعل عمل ديفو بالتجارة، وكان أحيانًا يرتحل ويتنقل، لكن رحلاته وتنقلاته لم تبرح نطاق بريطانيا، أو حتى أوروبا على أقصى تقدير. إذًا، نقول أن ديفو لم يكن متواجدًا بشخصه على اليابسات البعيدة والنائية، التي أسقط عليها أحداث روايته، وبالتالي لم يكن مواكبًا للأحداث الأصلية وهي تجري في مهدها، ولم يرها مرأى العين!.

إذًا ما هو المصدر الذي جاء منه ديفو، بفكرة روايته وتركيبة أحداثها ؟.

المصدر الأساسي الذي استلهم منه ديفو فكرة ونمط روايته، كان ما كتبه الصحفي والكاتب الأيرلندي رتشارد ستيل **Richard Steele** عن تجربة العزلة الحقيقية والواقعية، التي تعرض لها البحار الاسكتلندي ألكسندر سلكرك، على يابسة أحد جزر خوان فرنانديز، الواقعة في المحيط الهادئ، إلى الغرب من سواحل تشيلي.

إذًا فالمصدر الأساسي الذي نبعت منه فكرة رواية روبنسون كروزو، وغيرها من روايات الروبنسونات التي جاءت فيما بعد، كان تجربة الكسندر سلكرك الحقيقية، والتي قضى فيها نحو أربعة أعوام من العزلة.

نفهم من ذلك أن ديفو لم يأت بفكرة روايته ولم يستلهمها من وحي الخيال، بل جاء بالفكرة واستمدها من قصة واقعية حقيقية، مثبتة الوجود ولا تقبل التشكيك.

لم يقم ديفو عندما كتب روايته بمحاكاة قصة ألكسندر سلكرك بالضبط وبالتفصيل. بل خالف وبدل في روايته، الكثير من الوقائع والمواقع التي وردت في تجربة أو قصة سلكرك الحقيقية. فمثلًا فترة العزلة التي قضاها روبنسون على أرض جزيرته بلغت ٢٨ عام، أما سلكرك فقد بلغت فترة عزلته على أرض جزيرته نحو أربعة أعوام فقط. جزيرة روبنسون كانت تقع جنوب شرقي البحر الكاريبي، أما جزيرة سلكرك فتقع في المحيط الهادئ، إلى الغرب من السواحل التشيلية.

نقر ونعترف بأن ديفو قد غير في روايته الكثير من الوقائع والمواقع، التي وردت في قصة أو تجربة سلكرك الحقيقية. لكن ديفو في كلتا الحالتين، لم يكن متواجدًا لا عند روبنسون على أرض جزيرته الكاريبية، ولا عند سلكرك على أرض جزيرته الباسيفيكية. لم يكن ديفو كاولئك الكتاب الذين يراقبون الأحداث وينقلونها إلى أوراقهم، وهم في قلب أو مهد الحدث.

أثناء فترة كتابته للرواية وما قبل ذلك بسنوات عديدة، لم يبرح ديفو بريطانيا (على الأرجح). وبالتالي فقد استلهم فكرة روايته بالكامل من قضية سلكرك، والتي أثارها من حوله آنذاك المجتمع، والرأي العام، والكتاب، والمثقفين، وتحديدًا رتشارد ستيل، الذي كتب عن تلك القضية بوضوح واهتمام شديد، فتأثر ديفو بذلك أشد تأثر.

لا غرابة في أن نجد، أن رواية روبنسون كروزو، هي أحد أبدع وأروع القطع الأدبية التي أنتجتها البشرية. فقد كتبها ديفو عندما كان في قرابة الستين من عمره، وبالتالي فقد وضع فيها عصارة خبرة سنين طويلة، قضاها في الكتابة والإبداع والممارسة الفكرية.

لقد كانت رواية روبنسون كروزو نقطة تحول، ليس في الأدب العالمي فحسب، بل أيضًا في مسيرة ديفو الأدبية. فبحسب العديد من النقاد، لم تكن مؤلفات ديفو التي كتبها قبل سن الستين، ذات أهمية وشهرة كبيرة. أما روبنسون كروزو وما تلاها من روايات ومؤلفات كتبها ديفو في نهايات عمره، فقد كانت الأعظم والأروع، على مستوى نتاج ديفو الفكري والأدبي الطويل.

من يقرأ الرواية بقليل من التحليل والتدقيق، يستنتج وبسهولة أن ديفو كان مثقفًا، وعارفًا للكثير من المصطلحات والمعلومات الجغرافية. نعم لقد كان ديفو ماهرًا في توظيف معرفته ودرايته الجغرافية تلك، في سبيل صياغة نص أدبي جغرافي رائع وبديع، على شاكلة روبنسون كروزو.

لا ندري إذا ما كانت الدراية الجغرافية الواسعة لديفو، هي دراية مكتسبة فقط من أجل كتابة الرواية (أي اكتسبها وتعلمها قبيل كتابة الرواية، من أجل كتابة الرواية فحسب)، أم كانت درايته الجغرافية سابقة ومتجذرة عنده من قبل. أنا أميل إلى الاحتمال الثاني، فالمطالع لسيرة هذا الرجل، يجده منخرطًا في السياسة وشؤونها وبشكل كبير جدًا. والإنسان العالم بالسياسة والمراقب لشؤونها، يكون عادة ملمًا بقدر كبير من المعرفة الجغرافية. فعلاقة السياسة بالجغرافيا، هي علاقة جد وثيقة ومتينة.

جعل ديفو روايته متخمة بالدلالات والإيحاءات والرموز، فلا يكاد يخلو موضع من الرواية من دلالات وإيحاءات متنوعة، سواء أكانت سياسية، أو ثقافية، أو دينية، أو فلسفية، أو غير ذلك.

لقد أتينا فيما سبق على الدراية والمعرفة الجغرافية العميقة عند ديفو، والتي ظهرت بشكل جلي وواضح في أحداث الرواية. لكن يتوجب علينا كذلك، أن نشير إلى أن ديفو قد أورد بعض المعلومات الجغرافية الغير واضحة أو الغير دقيقة في هذه الرواية. وخصوصًا فيما يتعلق بالموقع الفعلي والحقيقي لجزيرة روبنسون الكاريبية، وكذلك هوية تلك الجزيرة واسمها المتعارف عليه اليوم في الجغرافيا الحديثة.

لقد قام ديفو وبمنتهى الدقة، بذكر المعلومات الجغرافية والأوصاف المكانية الصريحة، الخاصة بكل المواقع والأماكن التي وردت في الرواية. لكنه كان مقصرًا كثيرًا في حق أكثر الأماكن أهمية على مستوى الرواية بأسرها، ألا وهو الجزيرة الكاريبية. لقد ظلت مسألة موقع وهوية تلك الجزيرة، قضية جدلية وخلافية إلى يومنا هذا. يجتهد الكثيرون في هذا الجانب، لكن في اعتقادي الشخصي، أن جزيرة روبنسون الكاريبية، وبحسب الأوصاف التي وردت لها في الرواية، ربما لا يكون لها وجود فعلي في جغرافيتنا الحديثة المعاصرة (هذا في حال كانت جزيرة مغمورة). أما إن كان المقصود بها أحد جزر الكاريبي البارزة والمعروفة لدينا اليوم (كما يحاول

أن يفسر البعض)، فالوصف المكاني الذي ورد في الرواية بخصوص الجزيرة، وفي هكذا حالة، يكون وصفًا مغلوطًا وغير دقيق بالمرة. فالموقع الجغرافي الذي جاءت فيه جزيرة روبنسون في الرواية، لا يتطابق البتة مع أي من مواقع جزر الكاريبي البارزة والمشهورة، التي نعرفها اليوم في الخرائط.

- ملاحظات على التطبيق

١) في مستهل التطبيق السابق، قمنا بكشف العلامات الجغرافية المتواجدة داخل النص، ومن ثم صنفنا تلك العلامات إلى ما هو مؤثر وغير مؤثر، ومن ثم قمنا بتفسيرها أو تحليلها، وفي النهاية تطرقنا إلى أثر المؤلف.

هذا يؤكد على أننا التزمنا بتطبيق الفرضيات الأربع، كاملة غير منقوصة، أي دون أن نهمل أو نعطل عمل أي من تلك الفرضيات. بالإضافة إلى ذلك، فقد التزمنا بالتراتبية والتسلسل الخاص بفرضيات النظرية. فقد طبقنا الفرضيات الأربع على النص، بحسب ترتيبها الرياضي والمنطقي المتعارف عليه فيما سبق.

هذا يعد أول تطبيق لنظرية التحليل الجغرافي على نص أدبي. لذلك كان لا بد من الالتزام، بكل من كلية وتسلسلية الفرضيات، وقت تطبيقها على النص.

مخالفة كلية وتسلسلية الفرضيات وقت تطبيقها على العمل الأدبي، نعم قد تقلل من جودة وقوة هذا التطبيق، لكنها لا تنسفه ولا تلغيه تمامًا. فبإمكان النقاد الأدبيين الجغرافيين، أن يخالفوا الأسلوب الذي جئنا به في تطبيقنا هذا. أي بإمكانهم مخالفة الكلية والتسلسلية التي التزمنا بها، إن رأوا حاجة إلى ذلك.

التزمنا في هذا التطبيق، بكل من كلية وتسلسلية الفرضيات، لأنه تطبيق تعليمي نموذجي. سيستقي منه النقاد الأسلوب والنموذج الأمثل، الذي تطبق به فرضيات نظرية التحليل الجغرافي، على نصوص الأدب.

٢) في التطبيق السابق لم نتطرق إلى كافة العلامات الجغرافية، الموجودة داخل نص رواية روبنسون كروزو. كثير من العلامات الجغرافية، وخصوصًا من تلك التي تنتمي إلى (الأحداث الجغرافية)، لم نتناولها في التطبيق السابق. فالنظرية لم تنشأ كي ترصد كافة العلامات الجغرافية التي يحتويها النص. بل نشأت كي ترصد تأثير تلك العلامات في عمومها ومجملها على النص، وكيف من شأن هكذا علامات أن تصبغ النص بصبغتها الجغرافية.

ذكرنا من قبل، أن المسميات الجغرافية يمكننا رصدها داخل النص بسهولة، أما الأحداث الجغرافية فمن الصعوبة بمكان رصد وجودها وبدقة داخل النص. حتى المسميات الجغرافية التي سلمنا بسهولة رصدها داخل النص، فإنه كثيرًا ما يتكرر ظهورها داخل مجريات النص. وبالتالي فليس من المعقول، ملاحقة ورصد كافة التكرارات، التي تتمخض عن كل مسمى من هذه المسميات.

نظرية التحليل الجغرافي للأدب، لا تميل إلى الكمية على حساب الكيفية. فالنظرية ليست نظرية إحصاء جغرافي، أو إحصاء للوجود الجغرافي داخل النص، بقدر ما هي نظرية تفسير وتحليل ودراسة، للوجود الجغرافي داخل النص، ومدى تأثيره على ذلك النص. إذًا فدور النظرية هو الدراسة والتحليل، وليس التعداد والإحصاء. وبالتالي فالمطبق لفرضيات النظرية على نصوص الأدب، غير مطالب بإحصاء ورصد كافة العلامات الجغرافية، التي تحتويها جنبات النص المراد تحليله. فهذه تبدو مهمة تعجيزية وعقيمة، وبلا شك.

٣) المتأمل جيدًا في التطبيق السابق لنظرية التحليل الجغرافي للأدب، على نص رواية روبنسون كروزو، يلاحظ ويدرك بوضوح، مدى التشابه والتقارب، بين نظرية التحليل

الجغرافي للأدب ونظرية ما بعد الاستعمار أو ما بعد الكولونيالية **Postcolonialism**. نعم، تتشابه النظريتان في العديد من أوجه اهتماماتهما ونطاقات بحثهما.

obeikandl.com